

بركات الخلافة

بقلم:

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رحمته الله
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي

ترجمة: محمد أحمد نعيم

اسم الكتاب: بركات الخلفاء

الطبعة الأولى: ١٤٤٢هـ الموافق لـ ٢٠٢١م

An Arabic rendering of
Barakaat-e-Khilafat (Urdu)

Written by:

Hazrat Mirza Bashir-ud-Deen Mahmood Ahmad
Khalifatul-Masih II (may Allah be pleased with him)

Translated from Urdu by: Muhammad Ahmad Naeem

First Published in UK in 2021

© Islam International Publications Ltd.

Published by:
Islam International Publications Ltd.
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.islamahmadiyya.net

Cover designed by: Anan Odeh

ISBN: 978-1-84880-817-1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

أ	مقدمة
٣	الأمر الأول
٣	الأمر الثاني
٥	الأمر المهم الأول
٦	نقطة معرفة
٦	أهمية الخلافة
٨	مسألة الخلافة
٩	الاعتراض الأول والرد عليه
١١	الاعتراض الثاني والرد عليه
١٨	الاعتراض الثالث والرد عليه
١٩	حادث آخر
٢٠	محاولة الاتحاد
٢٢	حادثة الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>
٢٣	هل الخلافة أصبحت وراثية
٢٦	كيف يتحقق الصلح
٢٨	أمر مهم
٢٩	كان حدوث الفتنة ضرورياً
٣٦	الشهادة السماوية عن النزاع حول الخلافة

٣٩	شاهد هذه الرؤيا
٤٠	الشهادة السماوية الثانية على مسألة الخلافة
٤٢	الشهادة السماوية الثالثة عن مسألة الخلافة
٤٣	الشهادة السماوية الرابعة على مسألة الخلافة
٤٤	الشهادة السماوية الخامسة على مسألة الخلافة
٤٤	الشهادة السماوية السادسة على مسألة الخلافة
٤٦	الشهادة السماوية السابعة على مسألة الخلافة
٤٨	الشهادة السماوية الثامنة على وفاة حضرتہ ﷺ وخلافتي
٥٠	الشهادة السماوية التاسعة على الخلافة
٥٤	تتمة خطاب حضرة الخليفة الثاني ﷺ
٥٦	السياسة
٥٨	لماذا تمنع الجماعة الإسلامية الأحمدية من السياسة
٦١	ما هي السياسة
٦٢	النتيجة الخطرة الأولى للتورط في السياسة
٦٤	العاقبة الخطرة الثانية للتورط في السياسة
٦٥	في السياسة يندمج القوم الصغير في الكبير
٦٨	يجب أن يكون للإحسان جزاء
٧٠	الفكرة الخاطئة
٧٠	طريق الفوز بالقرب الإلهي
٨٢	مكالمة مع رئيس التحرير لإحدى الجرائد

٨٣	سر النجاح
٧٥	زواج الأحمدي بغير أحمدي ومسألة الكُفُو
٧٦	الزواج واجب
٧٩	مشكلة العائلة
٨٥	قرار النبي ﷺ عن النسب
٨٦	معيار العائلة العريقة
٩٠	الصلاة بالجماعة
٩٣	الزكاة
٩٥	فوائد الزكاة
٩٦	لطيفة تصوُّفية
٩٧	سوانح سيدنا المسيح الموعود <small>عليه السلام</small>
٩٨	الحكم في النزاعات والخصومات
٩٨	المدارس الابتدائية
٩٩	الحاجة إلى الدعاة
١٠٠	قراءة ترجمة القرآن الكريم
١٠١	المدرسة بالمراسلة
١٠١	امتحان كتب المسيح الموعود <small>عليه السلام</small>
١٠١	حل المسائل المختلف فيها
١٠٢	حاجات الجماعة
١٠٥	الخطاب الثاني لسيدنا فضل عمر <small>عليه السلام</small>

- ١٠٨ وسيلة الفوز بالقرب الإلهي
- ١١٢ الأمر العظيم الأكثر جمالا
- ١١٣ قصة آدم عليه السلام
- ١١٤ تحذير
- ١١٦ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
- ١١٧ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
- ١١٧ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ
- ١١٨ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ... يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
- ١١٩ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
- ١٢٠ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
- ١٢٠ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
- ١٢١ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
- ١٢١ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
- ١٢٣ اجتنبوا الشرك
- ١٢٥ اعملوا كل شيء بعد استيعابه
- ١٢٩ حادث واحد
- ١٣٠ ما الذي يريده الإسلام
- ١٣٠ مدارج تقدم الإنسان روحانيا
- ١٣٢ الدرجة الأولى للروحانية
- ١٣٣ الدرجة الثانية للروحانية

١٣٤	الدرجة الثالثة
١٣٥	الدرجة الرابعة
١٣٦	الدرجة الخامسة
١٣٧	الدرجة السادسة
١٣٩	الدرجة السابعة
١٤١	سوء الفهم



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الناشر

لقد عقدت الجماعة الإسلامية الأحمدية أول جلسة سنوية في عهد سيدنا الخليفة الثاني عليه السلام في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩١٤. والخطب التي ألقاها فيها سيدنا فضل عمر، الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام، في أيامها الثلاثة قد نُشرت في صورة كتاب بعنوان بركات الخلافة. فقد ذكر حضرته عليه السلام في ٢٦ ديسمبر/كانون الأول فتنة انشقاق وحدة الجماعة فقال:

"كان الله تعالى قد أخبر المسيح الموعود عن هذه الفتنة قبل حدوثها. وضعاف القلوب يقولون: ما الذي سيحدث الآن؟ هل سوف تتلاشى الجماعة الأحمدية؟ لكنني أقول إن الجماعة لا تنهار بسبب هذه الفتنة بل تُبنى، وطوبى لمن فهم هذه النقطة."

لقد قدم عدة من إلهامات المسيح الموعود عليه السلام ورؤاه ومقتبسات من كتبه، ووضح بجلاء أن اندلاع هذه الفتنة كان مقدرًا، وأن الجماعة بسببها كانت ستحرز تقدما غير عادي. بعد ذلك تناول مسألة هل يجب أن يكون لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام خليفة أم لا؟ وأثبت أن الخلافة كانت مقدرة بعد وفاة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وقدم على ذلك تسع شهادات سماوية.

في الخطاب الذي ألقاه في ١٩١٤/١٢/٢٧ أسدى لأبناء الجماعة نصائح قيمة، ولفت انتباههم إلى اجتناب بعض الأمور، منها مثلا مساوئ الانخراط في السياسية المادية، ومسألة تزويج بنت الأحمديّة من شاب غير أحمديّ ومسألة تكافؤ العروسين، وأهميّة الصلاة جماعة، والزكاة، واحتفاظ سوانح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وغيرها. فقد قال عن أمور السياسة:

ما دام الناس يكسبون الصيت والشهرة في العالم عاجلا جدا بالانخراط في السياسة، لذا يتركون الدين من أجل هذه المنفعة العاجلة. أما في هذا العصر فقد كثر جذب الدنيا أكثر من ذي قبل، فمهما جذبت السياسة الناس إليها فهو قليل.. لذا ما أحب المسيح الموعود عليه السلام أن يفقد ولو عددا قليلا ممن معه بالسماح لهم بالتورط في السياسة. فلو قال أحد إنا تكبدنا الخسائر بسبب ترك السياسة إذ لم ننفز بمراتب رؤساء المديریات والمناصب الحكومية المرموقة الأخرى، فليعلم أن المرء بتركها يفوز بقرب الله وباختيارها بقرب الدنيا، فإن كنتم تحبون الله فاتركوا السياسة.

أما الخطاب الذي ألقاه في ١٩١٤/١٢/٢٨ فتناول فيه تفسيراً لطيفا لآية الكرسي، حيث بين عظمة الله من صفاته، وبين سبعة مدارج روحانية.

لقد حظي بتعريب هذا الكتاب الداعية الإسلامي الأحمدي محمد أحمد نعيم وصدر بإشراف المكتب العربي المركزي بتعاون عدد من الإخوة العرب الذين أسهموا في أعمال المراجعة والتدقيق، ونخص بالذكر السيد خالد عزام، والدكتور علي خالد البراقي، والدكتور وسام البراقي والأستاذ حلمي مرمر المحترمين. نتقدم بخالص الشكر لكل من ساهم في نشر هذا الكتاب داعين أن يجزيهم الله أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناتهم. آمين

لقد بذلنا أقصى جهدنا لتكون الترجمة أقرب إلى النص الأردني، ومع ذلك لا نبرئ أنفسنا من ضعف فيها. وندعو الله تعالى أن يوفقنا لبذل جهد أكبر في الطبقات القادمة لتحقيق مزيد من الدقة.

نسأل الله تعالى أن يوفق القراء الكرام للاستفادة من هذا الكنز ويجعله سببا لهداية الباحثين عن صراط الله المستقيم، آمين

الناشر

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

بركات الخلافة

خطاب ألقاه حضرة فضل عمر رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام

في ٢٧ ديسمبر / كانون الأول ١٩١٤

بمناسبة الجلسة السنوية

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آمين.

أود أن أقول لكم بعض الأمور المهمة؛ وأحدها في رأيي لا يخص الأحمدية فحسب، بل هو الوسيلة الوحيدة لإقامة الإسلام، والذي بدونه لا أحد يستطيع الوصول إلى الله ﷻ، ولا يكون أي مسلم مسلماً حقيقياً، ولكن لا يقدر أي إنسان تحصيله دون فضل ورحمة من الله. وهناك بعض الأمور المهمة الأخرى أيضاً إلى جانب ذلك لكنها أقل منه أهمية. فقد قررت أنه إذا ساندني فضل الله وأسعفتني رحمةً منه، فسوف أتناول غداً إن شاء الله الأمر البالغ في الأهمية والذي كنت متلهفاً لبيانه. اليوم أود أن أوصل إليكم الأمور التي هي أقل أهمية وإن كان إيصالها أيضاً ضرورياً. وإن هدني من تأجيل ذلك الأمر المهم إلى الغد أن النعمة التي تُنال بسهولة ولا يتطلب الفوز بها جهوداً كثيرة ليست بذات قدر. فالذين يقفون هنا للغد للاستماع إليه هم الذين يستحقونه. ولما كنت أعاني من السعال، فإن لم يصل صوتي إلى الجميع فليجلس الجميع بصبر، لأنهم سينالون الثواب حتماً، حتى لو لم يصل الصوت إليهم. فهناك أمور كثيرة تنتهي إلى الآذان ولا تؤثر في السامع. لكن المكان الذي يجلس فيه المرء يؤثر فيه، فمعلوم أن أغلبية الناس يسمعون الكلام، لكن هل يتزكّى الجميع؟ كلا، فقد ثبت أنه ليس من الضروري أن يهتدي السامع إلى الأمور الحسنة، ثم من الملاحظ أن بعض الناس ينالون الهدى لمجرد ذهابهم إلى مكان مقدس دون أن يسمعوا أي دليل. فإن لم يصل الصوت إلى بعض الناس ومع ذلك ظلّوا جالسين، فسوف يهديهم الله بسبب الإخلاص دون أن يسمعوا كلامي.

بركات الخِلافة

والآن قبل أن أدخل صلب الموضوع أود أن أبين بعض الأمور التي تشيع في هذه الأيام وهي مهمة جدا.

الأمر الأول

عندما كنت آتياً إلى هنا بالأمس حيّاني بعض الناس -الذين بدّوا لي فلاحين قرويين- قائلين: "السلام عليكم يا رسول الله". مما تبين لي أنهم لا يعرفون ما هو مقام الرسول. وليس من دأبي أن أخير أحداً بخطئه بشكل خاص، فالحقيقة أي أستحيي من ناحية حتى لا ينجل المخطئ من خطئه، وثانياً أحجل أنا شخصياً من أن ألوم أحداً أو أنتقده، لذا أذكر خطأ أحد بشكل عام دون التنويه لاسم أحد، إلا من تربطني بهم علاقة خاصة، فأخبرهم على انفراد. فاعلموا جيداً أن الرسول هو وحده رسول ولا يكون كل إنسان رسولا. إلا أن الله ﷻ قد منحنا شرف خدمة رسوله، فأعطوا درجة الرسول لرسول الله فقط، ولا تشركوا أحداً في درجتهم. إن أسماء رسل الله المذكورة في القرآن الكريم، وإن الرسول الذي بعثه الله ﷻ في هذا الزمن تعرفون اسمه أيضاً، أما الآخرون فهم إخوة. إلا أن الله ﷻ قد أقام نظام الخِلافة لازدهار الجماعة الإسلامية الأحمديّة، والإنسان الذي اتُخب من أجل ذلك أي الخليفة هو في الحقيقة أخوكم فحسب، فلا يجوز وصفه برسول أبداً.

الأمر الثاني

بعض الناس يلمسون ركبتي أو قدمي. صحيح أنهم لا يقومون بذلك بنية الشرك، وإنما يقومون بذلك بعاطفة الحب المفرط والتعظيم، إلا أن مثل هذه

التصرفات تؤدي حتما إلى الشرك. فعندما يقومون بهذه الأمور فليس بدافع الشرك لكن نيتها حتما هي الشرك. فقد ورد في البخاري عن ابن عباس قوله إن أسماء أصنام قوم نوح المذكورة في القرآن الكريم كانت في الحقيقة أسماء صالحين من قومه، وعند وفاتهم أراد من خلفهم أن يجعلوا تذكارا لهم لكي يتذكروا صفاتهم بالنظر إليهم، فصنعوا تماثيل لهم. وحين رأى الجيل التالي أن آباءهم كانوا يحترمون هذه التماثيل بدأوا يبالغون في تعظيمها، وتدرجيا ازداد هذا التعظيم، وآل الأمر إلى أن بدأوا يسجدون لها، ونسوا مكانتها الأصلية وجعلوها شريكة لله. فبعض الأمور تبدو في البداية صغيرة وبسيطة وغير ضارة، لكنها في النهاية تؤدي إلى نتيجة خطيرة يستحيل تداركها. أما أنا فكنت أكره شخصا تقبيل الأيدي، لكن الناس كانوا يقبلون يد المسيح الموعود عليه السلام ولم يكن يمنعهم من ذلك، ومن ثم كنت أرى ذلك جائزا دون أن يكون معي دليل على ذلك. ثم بعد وفاته كان الناس يقبلون يد خليفة المسيح الذي قال حضرته عليه السلام بحقه إنه يتبعه اتباع النبض لضربات القلب، وكان أستاذي أيضا. فكنت أعدّ تصرفه أيضا حجة، إلا أن القناعة التامة التي تحصل بالأدلة حصلت لي عندما رأيت أن الصحابة كانوا يقبلون يد النبي صلى الله عليه وسلم ويلمسونها بأيديهم، لذا فلا أهي هؤلاء الذين يقبلون يدي، لكني أحجل من تصرفهم ولا أمنعهم من ذلك، لأنهم يقومون بذلك لجرد حبهم وتعظيمهم للخليفة. لكن يجب ألا تبالغوا في هذه الأعمال لئلا تؤدي إلى الشرك.

الأمر المهم الأول

الآن أبدأ بيان الأمر الأول وهو يتعلق بالخِلافة، ولعل أحدكم يقول قد سمعنا نزاعات كثيرة عن الخِلافة وهنا أيضا نسمع عنها منذ الأمس وقبله أيضا، فهل سوف تُحسم أم لا. فالحقيقة أن ما سمعتم عن الخِلافة سلفا فإنما سمعتموه من مثل مَنْ يبيّن أيّ حادث ظهر أمامه. معلوم أن الذي يعود أيّ مريض فإنه يذكر حالة مرضه بحسب أسلوبه، أما الحال الذي يبينه المريض نفسه، فهو متميز. كذلك ما قاله لكم الآخرون فهو بحسب عقولهم ورشدهم، أما ما سأقوله لكم فهو في ضوء ما جربته أنا شخصياً وليس ما جربه العالم. يمكن أن يبين أحد صداع أي مريض أو معاناته بالتفصيل ومع ذلك لا يشعر بما يشعر به المريض نفسه. لذا فإن ما أصابني أو ما تعرضت له إنما أنا وحدي أستطيع بيانه جيدا. فلعل الناظرين يخطر ببالهم ألي قد وُلّيت الحكم على جماعة يقدر أفرادها بمئات الآلاف، لكن تدبروا هل تأثرت حرّيتكم بشيء؟ فهل جعلكم أحد عبيدا له أو هل يتعامل معكم على شاكلة المرعوسين والرقيق والأسرى؟ فهل هناك فرق بينكم وبين الذين انشقوا عن الخِلافة؟ كلا ليس هناك أي فرق. لكن في الوقت نفسه هناك فرق كبير أيضا؛ وهو أن شخصا يتألم من أجلكم ويحكم ويعدّ آلامكم آلامه ويعدّ معاناتكم معاناته ويدعو الله ويتضرع إليه من أجلكم، ولكن لا أحد لهم. وهو يقلق عليكم ويتقلب أمام عتبات ربه من أجلكم، أما هم فلا أحد يفعل ذلك من أجلهم. معلوم أنه إذا

كان قريب أحد مريضاً فلا يهدأ له بال ولا يرتاح، فهل يمكن أن تقدروا حالة قلب إنسان مريض له الآلاف، بل مئات الآلاف؟ فحريّتكم لم تتأثر قط، غير أن حراً مثلكم قد وقعت عليه المسؤوليات الجسيمة.

سمعت أن البعض يقولون إني كنت أتطلع للحكم، ولذا أخذت البيعة من الناس بيثّ الفرقة فيهم، لذا أبين لكم حالتي وقت البيعة؛ فحين تمت البيعة اهتزت قدماي وشعرت بحمل ثقيل على نفسي، فخطر ببالي إن كان هناك طريق للتراجع، ففكرت كثيرا وتدبرت كثيرا فلم تخطر ببالي أي طريق. وبعد ذلك أيضاً بقيت أفكر في ذلك فأخبرني الله ﷻ في الرؤيا أي أمشي على جبل، فاضطربت برؤية الطريق الوعر الصعب فأردت أن أعود، فحين التفتُّ إلى الوراء للعودة رأيت الجبل ورائي قد تحوّل إلى جدار، ولا طريق للعودة. فعلمت أن الله ﷻ قد أخبرني أنه لا طريق للعودة وإنما عليّ أن أتقدم فحسب.

نقطة معرفة

لقد تدبرت لماذا ينال النبي النبوة بعد بلوغه أربعين سنة من العمر، فعرفت أن عمر الإنسان يبقى قصيرا بعد أربعين عاما، فيستطيع أن يتحمل المشاكل، أما إذا مُنح النبوة في الشباب لواجه مشاكل جمّة عنيفة، ولصعب عليه جداً قضاء السنين الطويلة من الحياة، لأن هذا العمل ليس سهلا هينا.

أهمية الخِلافة

إن الجدوة تبدو في الظاهر جميلة المنظر، ولكن لا يعرف حقيقتها غيرُ الذي يمسكها. وكذلك الخِلافة تبدو جميلة جداً للآخرين، والناظرون السفهاء

يظنون أن الخليفة يتمتع كثيراً، لكن من أدرهم أن الشيء الذي يبدو من بعيد جميلاً هو في الحقيقة حمل ثقيل. وليس في وسع أحد أن يحمله دون فضل من الله ورحمته. فالخليفة من يخلف من قبله، والذي يخلفه الخليفة قد قال الله ﷻ عنه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الشرح: ٣-٤)، فحين يقول الله ﷻ إن ظهر النبي ﷺ كاد ينقصم من هذا الوزر فمن ذا الذي يمكن أن يبقى سالماً بعد تحمّل هذا الثقل؟ إلا أن الله الذي خفف وزر النبي ﷺ ووفق شخصاً في هذا الزمن أيضاً لحمل هذا الحمل لنشر دينه هو الذي يشد أزر ناشري الدين بعد نبيه. كانت صحتي متوعكة في الماضي أصلاً، أما بعد ذلك اليوم فقد لاحظتم أنني نادراً ما أكون صحيحاً، وما ذقت سلامة الصحة إلا أياماً قليلة. إذا كنت مسروراً بنيل الخِلافة، وكنت أتوقعها؛ فكان يجب أن أستعيد صحتي منذ ذلك اليوم وأتمتع بصحة جيدة وأسمن. إذا كنت بحسب زعم منكري الخِلافة أسعى جاهداً لنيلها في الأعوام الستة الماضية، فكان يجب أن أسمن بعد نيلها، لكن ذلك لم يحدث. كانت والدتي حين تبدي القلق على صحتي في طفولتي كان المسيح الموعود ﷺ يقول لها إنه سيسمن عند نيل الأفراح، وكان يذكر مثلاً الأستاذ الخواجه أنه كان نحيفاً قبل امتحان المحاماة، وحين سمع أنه نجح في الامتحان سمن خلال أيام. فإذا كنت قد نلت الحكم في صورة الخِلافة وبذلك تحققت رغبتني، فكان يجب أن أسمن وأستعيد صحتي، ولكن حتى الذين يجالسوني ويعايشونني لا يعرفون كم من الأيام العصبية تأتيني، وإنما أنا وحدي أعرف معاناتي.

مسألة الخلافة

مسألة الخلافة ليست معقدة، فالخطاب الذي ألقته في ١٢/٤/١٩١٤ (وهو منشور باسم "منصب الخلافة") قد شرحت فيه انطلاقاً من آية قرآنية ما هي أعمال الخليفة، فالخليفة من يخلف أحداً ويواصل مهماته، فلمعرفة خليفة أحد يجب معرفة مَنْ خَلَفَهُ، أي ماذا كان عمله. لقد بين الله ﷻ أعمال النبي ﷺ أنه ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، أي (١) يتلو آيات الله على الناس، (٢) ويزكئهم (٣) ويعلمهم الكتاب (٤) والحكمة. وكنت شرحت في ذلك الخطاب أنه ليس بوسع الـ "أبجمن" - أي الهيئة الإدارية- أن تقوم بكل هذه الأعمال الأربعة، وإنما إنجازها من يقام من الله ﷻ بعد النبي ويسمى خليفة. ولن أكرّر هنا تلك الأمور كلها وإنما سأتناول بعض الاعتراضات البارزة المشهورة وأرد عليها، وأخبركم لماذا لم أتخلّ عن البسالة والصبر وبقيت أتمسك بموقفي.

بعض الناس يقولون بحقي لماذا لم يُبد رحابة الصدر ولم يقل: لا أريد أن أكون خليفة؟ فقاتل هذا القول يظن أن الخلافة شيء مريح وممتع جداً، لكن ذلك الأحق لا يعرف أن الخليفة لا يتمتع بأي راحة جسدية ومادية. والآن أخبركم لماذا تلقيت هذا الوزر بهمة وشجاعة، وما الذي جعلني أتمسك بموقفي حتى بعد ملاحظة انشقاق القوم، وأيُّ يد أبقتني أثبت في مكاني. فالآن هناك أناس من الجهات الأربع، لكن كان هناك زمن انضم فيه الجزء الأقل من الجماعة إلى البيعة، فالسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم

أترك موقفني من أجل لمّ شمل الجماعة ذاك اليوم والمحافظة على الوحدة. سأبين اليوم هذا الأمر الذي تَبَّتني وقوّاني، لكنني أبين لكم قبل ذلك بعض الأمور الأخرى.

الاعتراض الأول والرد عليه

من الاعتراضات التي تثار عادة أن الخليفة يكون ملكاً أو مأموراً، فيقال لي هل أنت ملك؟ أقول لا، فيقال إذن هل أنت مأمور؟ فأقول لا، فيقال فكيف تكون خليفة إذن؟ إذ يشترط على الخليفة أن يكون ملكاً أو مأموراً. لكن أصحاب هذا الاعتراض لم يفكروا في كلمة "الخليفة" أدنى تفكير. فمثلاً كمثال من ذهب إلى محل الخياط ورأى ولداً يخاطب معلمه بـ "الخليفة المحترم"، وعندما ينصرف من هناك يقول للناس: "الخليفة يقال للخياط فقط، والذي لا يشتغل بعمل الخياطة لا يمكن أن يكون خليفة". وكذلك إذا ذهب شخص إلى المدرسة ورأى هناك أن طلاب الصف يقولون لعريفهم: "الخليفة" (لأنه في القديم كان يقال للطلاب المشرف على زملائه في الصف "الخليفة"). ويقول عند العودة من هناك: إن الخليفة من يشرف على طلاب الصف، فالذي لا يتحقق فيه هذا الشرط لا يمكن أن يكون خليفة.

كذلك إذا رأى أحد أن الله ﷻ جعل آدم خليفة وأمر الملائكة أن يسجدوا له، وقال إنما الخليفة من أمر الله الملائكة أن يسجدوا له.

وكذلك إذا رأى شخص آخر أن خلفاء النبي ﷺ كانوا يتمتعون بالسلطة والحكومة أيضاً، وقال إن الذي لا يتمتع بالحكم لا يمكن أن يكون خليفة،

فالسطة شرط أساسي للخليفة. فقائلو هذه الأقوال كلها لا يعرفون معنى كلمة الخليفة؛ فالخليفة تعني مَنْ يقوم بأعمال من خلفه، فخليفةُ الخياط يجب أن يكون خياطاً، وإذا كان أي طالب يقوم بأعمال الأستاذ في غيابه فهو خليفة الأستاذ.

وكذلك الذي يخلف نبياً فهو خليفته، وإذا كان الله ﷻ قد منح ذلك النبيَّ الملكَ والحكمَ فيجب أن يتمتع خليفته أيضاً بالملك والحكم، وسوف يعطيه الله الحكمَ حتماً. أما إذا كان النبي نفسه لم يجر على الحكم فمن أين سيأتي خليفته بالحكم. فلما كان الله ﷻ قد وهب للنبي ﷺ كلا الأمرين؛ أي الحكومة الروحانية والمادية أيضاً، لذا كان خلفاؤه أيضاً يتمتعون بكليهما. أما الآن فلما لم يهب الله ﷻ للمسيح الموعود ﷺ الحكم، فكيف يجوز لخليفته أن يجارب لنيل الحكم؟ فأصحاب هذا الاعتراض لم يتدبروا كلمة الخليفة. فمثل ذلك إذا رأى أحد أن الجالسين هنا يلبسون العمام والطرابيش ونوعاً معيناً من اللباس، ثم بعد الانصراف من هنا لم يجد أحداً في هذا اللباس المعين وقال إنه ليس إنساناً، وإنما الإنسان من يلبس عمامة ونوعاً معيناً من اللباس، فهل سيعدّ عاقلاً؟ كذلك إذا قال أحد نظراً إلى خلفاء بعض النبيين إن الخلفاء يجب أن يكونوا متمتعين بصفاتهم حصراً، وغيرهم لا يكون خليفة. فهل سيكون قوله جديراً بالقبول عند أي عاقل؟ كلا لا يمكن. فيجب التدبر في كلمة الخليفة.

فالناس يخطئون في تحديد معنى الخليفة لعدم معرفتهم باللغة العربية.

فالخليفة أولاً هو مَنْ ينوب عن أحد،

وثانياً من ينوبه أحدٌ،

وثالثاً من يُصدر الأوامر والنواهي وينفذها.

ثم للخلفاء نوعان؛ أحدهما من يخلفون بعد وفاة الأصل، والثاني يخلفه في حياته أيضاً. فمثلاً "نائب الملك" هو خليفة الملك، ولو قال أحد إن نائب الملك لا علم له بالدين لذا لا يمكن أن يكون خليفة، فهذا خطأه الفادح. لأن الملك الذي ينوب عنه صاحبُ حُكمٍ مادي فقط، لذا فإن نائبَ الملك يخلفه في الحكم والسلطة فقط لا في الدين. فهذا أمر عادي لم يدركه بعض الناس أو لا يريدون أن يفهموا.

الاعتراض الثاني والرد عليه

ثم يقول هؤلاء إن المسيح الموعود عليه السلام كان مثل المسيح الإسرائيلي، لذا يجب أن يكون خلفاؤه أيضاً كمثل خلفاء المسيح الإسرائيلي. لكن لما لم تثبت الخلافة بعد المسيح الإسرائيلي لذا يجب ألا يكون خليفة بعد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضاً. فهذا الأمر من ناحية عجيب جداً، لأننا نعتقد أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب، وعاش بعد حادث الصليب ثمانين حولاً تقريباً. لكن الإنجيل الذي لا تثبت منه خلافته إنما هو تاريخ حياته إلى حادث الصلب فقط. فكيف يمكن أن نعثر فيه على ذكر خلافته؟ فمثل هذا القول كمثل من قال إن الخلافة غير مذكورة في كتاب البراهين الأحمدية، ولم يذكر فيه أي خليفة أيضاً، لذا ليس بعد المسيح الموعود عليه السلام أي خليفة. فكيف يمكن الاطلاع على خليفة المسيح الناصري من الإنجيل، إذ يضم بيان حياته الممتدة إلى

سن ٣٣ عاما فقط، مع أننا نقرأ في الحديث أن المسيح عليه السلام عاش مئة وعشرين سنة، فلما كان المسيح قد عاش بعد الـ ٣٣ عاما المذكورة في الإنجيل، فكيف يمكن العثور على ذكر خلفائه في الإنجيل. وإن قال أحد إننا لا نجد ذكر أي خليفة له حتى بعد موته عن عمر ١٢٠ سنة، فنحن نقول: إذا أحضرتنا لنا أحداث حياة المسيح بعد ٣٠ عاما فسوف نخرج لكم ذكر الخلفاء أيضا. فحيث إن تاريخ حياة المسيح بعد حادث الصلب غير موجود، فإن النقاش حول خلافته لغو وسخف. فإن قال أحد إن تعليقه على الصليب ومغادرة البلاد أيضا هو الموت كما كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في كتيب الوصية: "وهذا ما حدث مع عيسى عليه السلام أيضا" أي كانت الخلافة بعده. لذا أرونا أي خليفة. فلنقبل قولهم، لكن من هذا الاعتراض يثبت حتما أن هؤلاء لم يتدبروا الإنجيل أيضا، فقد ذكرت في الإنجيل بالضبط الأوضاع نفسها التي ذكرها المسيح الموعود عليه السلام في "الوصية"، فكما ذكر في الوصية الخليفة والأخمين، فقد ورد ذكر الخلافة في الإنجيل أيضا وذلك حين جاء المسيح عليه السلام إلى الحوارين بعد حادث الصلب وقرر الهجرة إلى كشمير، فهذا مذكور في إنجيل يوحنا كما يلي: {فَبَعْدَ مَا تَعَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتَجِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْجَ خِرَافِي». ١٦ قَالَ لَهُ أَيضًا ثَانِيَةً: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتَجِنِّي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْجَ غَنَمِي». ١٧ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتَجِنِّي؟» فَحَزَنَ بُطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتَجِنِّي؟ فَقَالَ لَهُ:

«يَارَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ارْعَ غَنَمِي». { (يُوحَنَّا ٢١ : ١٥-١٧)

فقد أقام المسيح ﷺ بطرس خليفة بعده، أما في إنجيل لوقا فقد ورد فيه عن المسيح { وَدَعَا تَلَامِيذَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى. } (لُوقَا ٩ : ١-٢) ... { فَلَمَّا خَرَجُوا كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ يُبَشِّرُونَ وَيَشْفُونَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ. } (لُوقَا ٩ : ٦)

فقد ثبت من هذه الآيات أن المسيح عهد إلى حواريه مهمة التبليغ، إلا أنه لم يسلم جماعته لأي مجموعة، وإنما طلب من بطرس أن «ارْعَ حِرَافِي». و«ارْعَ غَنَمِي».

بينما عند الأمر بالإدخال في جماعته قال لجميع الحواريين { وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى. }
ومثل ذلك كتب سيدنا المسيح الموعود ﷺ في "الوصية"، فحين ذكر الخليفة كتب:

"هذه هي سنة الله الجارية، ومنذ أن خلق الإنسان في الأرض ما زال بيدي هذه السنة دون انقطاع بأنه ينصر أنبياءه ومرسله ويكتب لهم الغلبة. كما يقول: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لِلْأَغْلِبِينَ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (المجادلة: ٢٢)، والمراد من الغلبة هو أنه كما أن الرسل والأنبياء يريدون أن تتم حجة الله على الأرض بحيث لا يقدر أحد على مقاومتها، فإن الله تعالى يظهر صدقهم بالبينات، ويزرع

بأيديهم بذرة الحق الذي يريدون نشره في الدنيا، غير أنه لا يكمله على أيديهم. بل يتوفاهم في وقت يصحبه الخوفُ من الفشل بادي الرأي، فيُفسح بذلك المجالَ للمعارضين لِيَسْخَرُوا وَيَسْتَهْزِئُوا وَيَطْعَنُوا وَيَشْتَعِبُوا. وحينما يكونون قد أخرجوا كل ما في جعبتهم من سخرية واستهزاء يُظهر الله تعالى يدَ القدرة الثانية، ويهيئ من الأسباب ما تكتمل به الأهداف التي كانت إلى ذلك الحين غير مكتملة لحدِّ ما.

فالحاصل أنه تعالى يُري قسَمين من قدرته: أولاً، يُري يدَ قدرته على أيدي الأنبياء أنفسهم، وثانياً، يُري يدَ قدرته بعد وفاة النبي حين تواجه الحن ويتقوى الأعداء ويظنون أن الأمر الآن قد احتل، ويوقنون أن هذه الجماعة سوف تنمحي، حتى إن أعضاءها أنفسهم يقعون في الحيرة والتردد، وتنقصم ظهورهم، بل ويرتدّ العديد من الأشقياء، عندها يُظهر الله تعالى قدرته القوية ثانيةً ويُساند الجماعة المنهارة. فالذي يبقى صامداً صابراً حتى اللحظة الأخيرة يرى هذه المعجزة الإلهية، كما حصل في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث ظنَّ أن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قد سبقت أوانها، وارتد كثير من جهال الأعراب، وأصبح الصحابة من شدة الحزن كالمجانين، عندها أقام الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وأظهر نموذجاً لقدرته مرة أخرى، وحمى الإسلام من الانقراض الوشيك. وهكذا أتم عز وجل وعده الذي قال فيه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٦)، أي أنه تعالى سوف يثبت أقدامهم بعد الخوف. وهذا ما حدث

بالضبط في زمن سيدنا موسى عليه السلام حين اختطفته يد المنون وهو في الطريق ما بين مصر وأرض كنعان قبل أن يوصل بني إسرائيل إلى غايتهم المنشودة حسب الوعد. فقام بموته مآتم كبير بين بني إسرائيل. وكما ورد في التوراة أن بني إسرائيل ظلوا يبكون وينوحون إلى أربعين يوما جراء صدمة موته المفاجئ. وهذا ما حدث في زمن عيسى عليه السلام أيضا حيث تشتت الحواريون كلهم عند حادث الصلب وارتدّ واحد منهم أيضًا". (الوصية صفحة ٦-٧ الخزانة الروحانية مجلد ٢٠ صفحة ٣٠٤-٣٠٥)

فقد علّم المسيح الموعود عليه السلام لتماسك الجماعة المنهارة الأسلوب نفسه الذي ظهر بعد النبي صلى الله عليه وآله وموسى وعيسى عليهما السلام، أي ظهور الخلفاء.

أما حيث أمر المسيح الموعود عليه السلام بالتبليغ فقد كتب: **وينبغي لصلحاء الجماعة ذوي النفوس الطاهرة أن يأخذوا البيعة من الناس باسمي من بعدي.** فالله يريد أن يجذب إلى التوحيد جميع أرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء كانوا من أوروبا أو آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله عز وجل التي أرسلت من أجلها إلى الدنيا. لذلك اجعلوا هذه الغاية نصب أعينكم، ولكن باللطف وحسن الخلق وكثرة الدعاء.

(الوصية صفحة ٨-٩ الخزانة الروحانية مجلد ٢٠ صفحة ٣٠٦-٣٠٧)

فإن ما كتبه المسيح الموعود عليه السلام عن جماعته فقد كتب مثله تماما المسيح عليه السلام أيضا، إلا أنه كان قد سلّم خرافه (مريديه) لبطرس بذكر اسمه، ولما كان إيمان المسيح المحمدي أقوى منه فلم يصرّح باسم أحد، وإنما فوض الأمر

إلى الله أي أنه سيقوم من يريده. وفي الطرف الآخر أمر الجماعة بأن يأخذوا البيعة. نحن نقول: إن من واجب الأحمدين كلهم أن يقوموا بذلك، فكما سلم عيسى عليه السلام جماعته لبطرس كذلك أمر المسيح الموعود عليه السلام جماعته أن تخضع لشخص واحد، وكما كان عيسى عليه السلام أمر حواربيه بالتبليغ فقد أمر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أبناء جماعته أن يأخذوا البيعة باسمه.

الآن أقدم لكم بعض الأحداث؛ فالذين يجلسون هنا فليستمعوا باهتمام، وليبلغوا الذين ليسوا هنا. حين تفاقم مرض حضرة الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام فكرت في اختلافي كثيرا، وحين لاحظت أن جزءا من الجماعة يخالفنا في المعتقدات قلت في نفسي إن هؤلاء لن يستجيبوا لنا فلنقبل ما يقولون. وبعد تفكير طويل قررت في نفسي أنه إذا حدث شجار أو خصام فسأبايع فلانا أولا ومن ثم سيبايعه من هم معي، وبذلك يمكن المحافظة على الوحدة والوئام في الجماعة. ثم لقيني ذلك الرجل في مساء يوم وفاة خليفة المسيح وخرج معي لنمشي، وقال لي: ينبغي ألا نتكلم عن الخلافة الآن وعندما يصل الناس من الخارج سنحكم في هذه القضية. قلت له إنهم يصلون خلال يومين وعندئذ يمكن أن نبت في الأمر. فقال: لا بل ستستمر الأوضاع هكذا لمدة سبعة أو ثمانية أشهر ثم يمكن أن نفكر ما الذي يجب فعله، فلا داعي للاستعجال. فقلت له: إذا سألتني فسأقول إن مسألة الخلافة مهمة جدا ويجب أن يُنتخب الخليفة بأسرع ما يمكن. ثم قلت له: هل يمكن أن تخبرني عن مهمة خاصة كانت ستأخر في زمن الخليفة الأول لو لم ينتخب، ونظرا إلى ذلك تم

انتخاب الخليفة فوراً؟ فإذا كانت الحاجة إليه ماسة رغم عدم وجود أي مهمة معينة تقتضيه، فالحاجة نفسها ثابتة دوماً. فواجب الخليفة أنه إذا حدث خلل في الجماعة أن يزيله، وهو ليس ماكينه تشتغل على الدوام. فإذا حصل في الجماعة نزاع فما أدراك من يمكن أن يحكم فيه؟ ثم قلت له لن يحدث من طرفنا أي نزاع حول الخِلافة، رشّح اسم أي شخص فأنا جاهز لمبايعته، وهناك أناس يحبونني وهم أيضاً سيبايعونه، وهناك أناس لهم علاقات بك هم أيضاً سيبايعونه، وبذلك سيسوّى النزاع. ثم قلت له: يجب ألا يناقش الأمر هل يكون خليفة أم لا؟ بل يجب أن يكون محور النقاش من يمكن أن يكون الخليفة. ثم طلبت منه مكرراً أن يشرح أحداً فأنا مستعد لبيعته. أما الفكرة بأنه لا حاجة للخليفة فلست مستعداً أبداً لقبولها. فلو تخلى الأغلبية عن فكرة انتخاب الخليفة وبقي عدد قليل من الناس يركزون على انتخاب الخليفة فسوف نجعل أحداً منهم خليفة وسنبايعه. فلا يسعنا قبول أنه لا داعي لانتخاب الخليفة. فمهما تكن أفكار هذا الرجل وسواء كفر غير الأحمديين أم لم يكفر، وسواء أجاز الصلاة خلف إمام غير أحمدي أم لم يُجز، وسواء أنشأ العلاقات بهم أم لم ينشئ، فهذا لا يهمنا، إنما يهمنا أن يكون هناك خليفة؛ وذلك لكي يتحقق لِمُ شمل الجماعة، ونحن جاهزون لبيعته. لكن هذا الحديث لم يؤدّ إلى أي نتيجة، وتقرر أن نفكر أكثر وناقش الموضوع مرة أخرى، ويُضمّ الآخرون أيضاً إلى النقاش. في اليوم التالي جاء خمسة أو سبعة أشخاص للمشورة وجرى الحوار حول جواز الخِلافة وعدمه. وبعد حوار

ساخن طويل حين ضاق الوقت قلت لقد بقي هناك طريق وحيد وهو أن الذين يقولون بأنه يجب أن يكون خليفة، فلينتخبوا أحداً خليفة ويبايعوه. ونحن نجمع هؤلاء في مكان ونستشيرهم، وأنتم يا من ترون انتخاب الخليفة غير جائز لا تذهبوا إلى هناك، لئلا يحدث أي نزاع. وبعد ذلك أتينا إلى هنا (في مسجد نور) وهم أيضاً لحقوا بنا. ثم حدث ما كان مقدراً عند الله، فالذين كانوا يجلسون معي في ذلك الوقت يعرفون حالتي آنذاك جيداً، فإن كنت قد خططت سلفاً لشيء ما، فكان يجب مثلاً أن أحفظ كلمات البيعة سلفاً، لكن أحداً أملى عليّ كلمات البيعة وردّها، وبذلك تمت البيعة.

فهل هذا يكون حال المخطّط؟

الاعتراض الثالث والرد عليه

ثم يقولون إن شخصاً قام لإلقاء الخطاب فقبل له أن يجلس، فهذه إساءة إليه. أما أنا فأقول: لو ضُرب ذلك الشخص في ذلك الوقت لما كان في ضربه أي حرج، وذلك لأنه كان يرفض ضرورة الخليفة. فقد شاهد أن نور الدين خليفة المسيح نفسه كان يحفظ شرفه، وحين أغمض عينيه تعرض للهوان فوراً. وهذا يُثبت أن ضرورة الخليفة فورية، لا بعد سبعة أشهر أو ثمانية. لكنني لم أكن أعلم عن ذلك شيئاً، أي من الذي قام لإلقاء الخطاب، ومن الذي منعه. فقد أخبرني أحدٌ بعد الخروج من هذا المسجد أن شخصاً يقول: إن قاديان مستشفى حقاً وأن جميع سكانها مرضى. فسألته لماذا قال ذلك؟

فقال إنه يقول: إن المولوي "محمد علي" قام ليتكلم ولم يُسمح له بذلك، مما أدى إلى الإساءة إليه. عندها علمت بذلك. فلو علمت في تلك الساعة لما كان لي حق في منع أحد، ثم أي علاقة كانت للناس بي حتى يستعدوا بموجبها لقبول كلامي، لأنه لم يكن أحد قد عُين إمامًا للجماعة.

حادث آخر

بعد ذلك حدث حادث آخر وهو أنني سمعت أن المولوي محمد علي يستعد لمغادرة قاديان، فكتبت إليه أنني سمعت أنك تريد أن تخرج من هنا، لماذا تريد ذلك؟ إذا كانت عندك أي مشكلة فاكتبها لي. وأرسلت هذه الرسالة بيد الدكتور **خليفة رشيد الدين المحترم** لئلا يقول المولوي إني أسأت إليه إذ أرسلتها بيد شخص آخر؛ موظف أو غيره. لقد قلت للدكتور أيضا أن يسأل المولوي لماذا يريد مغادرة قاديان؟ فإذا كان يعاني شيئا فأنا مسؤول عنه، فردّ علي بالقول: هل يمكن أن أترك قاديان إلى مكان آخر؟ أنت تعلم أنني على إجازة وسأخرج لأقضيها. وكتب في نهاية جوابه أيضا: من أسباب خروجي أنه لما كانت الطباع في هذه الأيام ثائرة وجياشة، لذا قررت أن أقيم في الخارج فترة حتى تهدأ هذه الثورة، إذ أخشى أن يهاجمني أحد الأفغان المتحمسين.

إلا أن تركيزه في هذه الرسالة كان على أنه كيف يمكن أن يغادر قاديان، إنما سيخرج لقضاء الإجازة فقط. بعد ذلك ذهبتُ إلى بيته للقائه وكان يرافقني نواب المحترم أيضا في هذه الزيارة، فحين جلسنا عنده بدأ الحديث من

هنا وهناك، فقد تكلم شيئاً ما عن ترجمة القرآن الكريم أيضاً، ثم قال النواب للدخول في لب القضية: إن ميان المحترم نفسه قد جاء إلى بيتك إثر تلقي رسالتك، ولم يكده ينهي كلامه حتى قام المولوي بتصرف أوحى إلي أنه يريد أن يصرفنا عن الموضوع ومن المحتمل أنه لم يقصد ذلك. في ذلك كان يجب أن يفكر أنه صحيح أنه لا يؤمن بي إلا أن جزءاً من الجماعة قد بايعني إماماً. لقد رأى أمام المتزل شخصاً يسمى "بغاً" فناداه فوراً وقال له تعال يا ميان بغاً، متى أتيت من لاهور؟ وبدأ يتكلم معه حول هذه الأمور، فانصرفنا من عنده عند ملاحظة ذلك، وتوصلنا من تصرفه هذا أنه ربما لا يريد التحدث حول هذا الموضوع أصلاً، والله أعلم. هل كان يريد ذلك أم لا، إلا أن أصحابي أيضاً فكروا في ذلك، لذا قد انصرفنا.

محاولة الاتحاد

وبالإضافة إلى ذلك قدمت مقترحاتٍ أخرى للمّ شمل الجماعة والمحافظة على وحدتها، فحين تفاقمت حالة سيدنا خليفة المسيح وعرفت أن بعض الناس يسمّونني فتاناً، قررت أن أخرج من قاديان، لأعود بعد البتّ في القضية. فجتت إلى بيتي من منزل النواب الذي كان يستلقي فيه خليفة المسيح عليلاً، وفتحت باب غرفة الضيوف وقمت للصلاة، ودعوت الله ﷻ أن يرفعني من الدنيا إذا كنت أنا باعث الفتنة، أو يوفقي للخروج من قاديان لبضعة أيام. وبعد الدعاء أتيت مرة أخرى إلى منزل النواب، إلا أن الله ألقى في روعي أنه سيتولى الأمر ويجب ألا أخرج من قاديان. لقد أقسمت قبل هذا وأقسم الآن

مرة أخرى بالذي نفسي بيده والذي هو صاحب هذا البيت (المسجد) وأقول مقسما بحاكم السماء والأرض، والذي يؤدي الحلف الكاذب باسمه إلى اللعنة، والذي لا يسع أي كاذب أن يتخلص منها؛ أي لم أقل قط لأحد أن يبدل الجهود لأنتخب خليفة. ولم أدعُ قط الله أن يستخلفني، فلما اختارني الله لهذه المهمة بنفسه وبفضله فأني لي أن أكرهها؟ إذا أعطاكم أي صديق هدية وألقيتموها بعد استلامها في سلة المهملات فهل سيرضى ويُسرّ؟ وهل سيكون تصرفكم صائبا؟ كلا لن يكون. إذن؛ إذا أنعم الله ﷻ على أحد بنعمة فمن ذا الذي يقدر على حرمانه منها. ما دام الإنسان لا يردّ هدايا الأصدقاء الماديين، بل ينظر إليها بعين الإجلال والإكرام فأني لي أن أردّ هذه النعمة الإلهية! لأن عاقبة الذين يردّون نعم الله ﷻ وخيمة جدا. انظروا؛ قد ذهب قوم موسى معه إلى الطور إذ كان الله ﷻ قد قال لهم: تعالوا نكلّمكم. فحين حدث هناك زلزال فزعوا وقالوا لا نريد أن نسمع كلام الله وعادوا، فعاقبهم الله لكفرانهم بهذه النعمة قاتلا: لن يُبعث الآن فيكم أي نبي مشرع، بل سوف يبعث من إخوانكم. وحين لاحظت هذه العاقبة للذين يكفرون نعم الله فمتى كان لي أن أردّ نعمة الله. كنت موقنا بأن الله الذي اختارني لهذا العمل سيشتني هو نفسه، ويهب لي الاستقامة والثبات. فلو لم يقبلني خليفةً من قبلوا الآن كلهم ولم يقبلني أحد من الناس وكان العالم كله عدواً لي وظامنا لدمي، ولم يكن في وسعه إلا أن يقتلني؛ لثبْتُ على هذا الأمر ولما خطر ببالي قط أن أرد نعمة الله ﷻ، لأن هذا الخطأ يؤدي إلى عواقب وخيمة جدا.

هذا هو الخطأ الذي ارتكبه الإمام الحسن عليه السلام، مما أدى إلى نتيجة خطيرة جدا، وصحيح أن هذا الخطأ صدر منه بناء على معتقد معين وهو أن الابن لا يكون خليفة الأب. فكما كان سيدنا عمر رضي الله عنه يعتقد ذلك، أعتقد كذلك أنا أيضا. ولهذا السبب قال سيدنا عمر رضي الله عنه عن انتخاب الخليفة بعده أن ابنه سيُستشار في انتخاب الخليفة لكنه لن يُنتخب، بينما عيّن سيدنا علي رضي الله عنه ابنه خليفة بعده، وكانت نيته صالحة إذ لم يجد بعده أحدا أهلا للخلافة. ويبدو أن الإمام الحسن أيضا فكر على شاكلة سيدنا عمر رضي الله عنه، أي لا يكون الابن خليفة بعد الأب، فأبرم الصلح مع معاوية رضي الله عنه مما أدى إلى استشهاد الإمام الحسين وعائلته كلها. تخلّوا مرة عن النعمة الإلهية، فقال الله لهم حسنا، إذا كنتم لا تقبلون هذه النعمة فلن يعطاها أحد منكم في المستقبل. فنلاحظ أن أحدا من السادات لم يصبح ملكا، فلم يفز السادات بالمملكة الحقيقية ولا الخلافة إلا في بعض الدويلات. حين ردّ الإمام الحسن رضي الله عنه نعمة الله، أسفر هذا الأمر عن نتيجة مرة جدا، فردّ نعمة الله ليس أمرا هينا.

فالذي يطلب مني التخلي عن الخلافة لم يفز بنصيب من المعرفة الإلهية وليست له أهلية لإدراك الحكم الإلهية. ما يُدري هذا الغي النتيجة الوخيمة لهذا الأمر. فأنا الآخر لن أحلع القميص الذي ألبسنيه الله تعالى على شاكلة عثمان رضي الله عنه حتى لو تصدى لي العالم كله ليسلبه مني. فأنا الآن سأقطع أشواط التقدم سواء رافقني أحد أم لا، ولقد أخبرني الله تعالى أن الابتلاءات سوف

تعترضني إلا أن العاقبة محمودة، فليتأكد من ذلك من أراد أن يتأكد بالتصدي لي فسأكون المنتصر إن شاء الله أيًّا كان المبارز، فأنا لا أبالي بمبارزة أحد بفضل من الله.

هناك أمور لا يقدر على بيانها غيري. فمن ذا الذي يعلم كم هو ثقیل الوزر الذي وُضع على عاتقي! حيث تأتي عليَّ بعض الأيام أظن فيها أني لن أبقى حيًّا إلى المساء. عندها أقول: سأعمل ما دمت حيا، وعندما أموت سيقيم الله شخصا آخر لهذا العمل. أنا مهتم بهذه المهمة التي عَهدت إليَّ من الله ﷻ ما دمت حيًّا، وأنا لا أبالي بما يحدث بعد وفاتي. فقد أقام الله ﷻ هذه الجماعة وهو الذي سيظل يدبر شؤونها.

هل الخِلافة أصبحت وراثية

سفيه من يقول إن الخِلافة صارت ورثة، أقول له مقسما بالله إنني لا أرى جائزا أن يكون الابن خليفة بعد أبيه، إلا أن الله إذا أمر أحداً بذلك فهذا أمر آخر، وعلى سنة سيدنا عمر رضي الله عنه معتقدي أنا أيضا أن الابن لا يكون خليفة بعد أبيه.

ثم يقال: انظروا إلى ما ورد في الوصية. فلا قيمة للعمل لست سنوات؟^١ نحن نقول: دع عنك ست سنوات! إنما نقبل ألا تكون قيمة للعمل طول الزمن بعد النبي ﷺ إلى المسيح الموعود عليه السلام أي ١٢٠٠ سنة أيضا. فنحن نستعد للتضحية بالعمل في هذا العصر كله ودونك ست السنوات. إلا أننا

^١ السنوات الست هي عهد الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

لا نرى هذه الأسوة في أي مكان؛ أي أن تكون جماعة أي نبي أجمعت على الضلال فور وفاته. أما المسيح الموعود عليه السلام فلم يكذب يمضي على وفاته يوم واحد إلا وأجمعت الجماعة على الخِلافة، فهل كان ذلك الإجماع على الضلال والعياذ بالله؟ كلا لم يكن كذلك قط.

يقال لنا "هل نحن منافقون؟" ونقول: لا نسمي الجميع منافقين، إلا أن الذي ليس في قلبه شيء من الصدق والذي صرح بعمله بأنه منافق نسميه منافقاً. إنما نقول قد سلمنا بحسب قولهم بأن عشرين في المئة من أبناء الجماعة بايعوا الآن، لكن الجماعة في ذلك الوقت أي عند وفاة المسيح الموعود عليه السلام قد بايعت كلها على يد الخليفة. هم يمكن أن يقولوا إن الجماعة كانت في ذلك الوقت على الضلال، إلا أنكم لن تجدوا لذلك نظيراً فيما سلف. كان المسيح الموعود عليه السلام يقدم أكبر دليل على وفاة المسيح الناصري آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٨)، والدليل الأكبر الثاني كان يقدم من إجماع الصحابة، واليوم يقال إن إجماع الجماعة الذي حصل بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام والذي استمر لست سنوات كان على الضلال. لكننا نقول إنه من المحتمل أن يُجمع على مسألة خاطئة من جاءوا بعد الذين رأوا المسيح الموعود عليه السلام وكسبوا فيوض صحبته، لكنه من المستحيل أن يكون إجماع صحابته على الضلال. لأنهم لو فعلوا ذلك لما كانت هناك فائدة من بعثة المسيح الموعود عليه السلام. لا شك أن فينا بعض الضعاف أيضاً. لكنني أسأل: ألم يكن المنافقون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً؟ لماذا لا يقال الآن "رضي الله

عنهم" بحق بعض الذين كانوا من زمرة الصحابة، بل لا يقال بأنهم من الصحابة أيضا؟ وجواب ذلك أنهم كانوا منافقين. فكانوا يؤمنون بالنبي ﷺ باللسان ولم تؤمن قلوبهم. وكذلك نقول الآن: إن الذين استجابوا لأوامر المسيح الموعود عليه السلام ولا يزالون، سنعدّهم من صحابة المسيح الموعود عليه السلام. أما الذين لا يستجيبون لها فلن نعدّهم من الصحابة. ألم يكن عبد الله بن أبيّ بن سلول يرافق النبي ﷺ؟ أو لم يكن من صحابة النبي ﷺ؟ لكنه لا يعدّ من الصحابة لكونه منافقا. وكذلك لو تعرّض أحد من الذين عاشوا مع المسيح الموعود عليه السلام فهذا ذنبه هو، وصحبته للمسيح الموعود عليه السلام لا تنقذه من ضرر هذه العثرة.

أقول مكررا إن هذا ليس رأينا نحن فقط بأن الجماعة كلها لم تتعرّض بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام، بل على عكس ذلك كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تلقى من الله إلهاما:

"سُردم بتوماية خویش را تو دانی حسابِ کم و بیش را"

أي: لقد سلّمتُ لك جُلّ ما عندي، فأنت الأدرى بما قدّمتُ وما أخرتُ. ففي هذا البيت سلّم المسيح الموعود ثروته لله لكي يحميها الله، وكان الله تعالى قد قال له نفسه أن يسلم جماعته له لكي يحفظها. والآن إذا سلّمنا بقول منكري الخِلافة فما أجمل حماية الله لجماعة المسيح الموعود إذ قد وفّقها لعقد أول إجماع بعد وفاته على الضلال! كان المسيح الموعود عليه السلام قد سلّم الجماعة لله تعالى وهو بدوره سلّمها لـ "نور الدين". وهذا ما يقال عنه أنه

كان ضلالاً -والعياذ بالله-، ألم يكن الله قادراً على تخليصها من "نور الدين" لينقذها من الضلال؟ كلا، بل كان قادراً على ذلك، إلا أنه لم يفعل ذلك؛ مما يُثبت أن إجماع الجماعة لم يكن على خطأ، بل كان بحسب مشيئة الله ﷻ.

لم تثبتني على موقفى هذه الأمور فقط، بل هناك أكثر من ذلك، ولا أقول ذلك بناء على أفكارى وقياسى، بل قد فهمته في ضوء الأمور اليقينية، وبسبب ذلك لا أستطيع أن أتخلى عنها. وتلك الشهادة ليست أرضية، بل هي سماوية، هي ليست شهادة اثنين من الناس، بل هي شهادة إلهية، فأنى لي أن أتركها؟ فلو قال لي العالم كله إن هذا الأمر خطأ لقلت لهم أنتم كاذبون، وإن ما يقوله الله ﷻ هو الحق؛ فالله أصدق الصادقين.

كيف يمكن أن يتحقق الصلح

بعض الناس يقولون بأنه يجب أن يتحقق الصلح، فهل هؤلاء الذين يعتقدون أنه لا داعي ولا حاجة للخليفة سيتخلّون عن هذه الفكرة؟ أم هل يمكن أن نتخلى نحن الذين نصرّ على وجود الخليفة عن فكرة ضرورة الخليفة؟ وإن لم يتخلّ أحدنا فهل سيؤدي اجتماع أصحاب الأفكار المتناقضة -حيث يعتقد كل منهم أن أفكار خصمه مضرّة جداً للجماعة- إلى اختلاف أكثر أم إلى السلام؟ أما أنا فمستعد للصلح، وأنا ابن ذلك الإنسان الذي سمي أمير الصلح. إلا أن الصلح الذي يؤدي إلى دمار الدين لا يسعني قبوله، أما الصلح الذي لا يفرض ترك الصدق فلا أحد أكثر مني استعداداً لقبوله. إني أحب جداً مثال المسيح ﷺ الوارد في إنجيل لوقا إصحاح ١٥: {وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ

ابنَان. ^{١٢} فَقَالَ أَصْعَرُهُمَا لِأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. ^{١٣} وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الْأَصْعَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةَ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَدَرَ مَالَهُ بَعِيشٍ مُسْرِفٍ. ^{١٤} فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. ^{١٥} فَمَضَى وَالتَّصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرَعِيَ خَنَازِيرَ. ^{١٦} وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمَلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْتُوبِ الَّذِي كَانَتْ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. ^{١٧} فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يَفْضَلُ عَنْهُ الْخَبِزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! ^{١٨} أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّامَكَ، ^{١٩} وَكُنْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. ^{٢٠} فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَأَاهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. ^{٢١} فَقَالَ لَهُ الْابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّامَكَ، وَكُنْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. ^{٢٢} فَقَالَ الْأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحَلَّةَ الْأُولَى وَالْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَائِمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءَ فِي رِجْلَيْهِ، ^{٢٣} وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَادْبَحُوهُ فَنَأْكُلْ وَنَفْرَحُ، ^{٢٤} لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيْتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. ^{٢٥} وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرَّبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلَاتِ طَرْبٍ وَرَقْصًا. ^{٢٦} فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْعِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ ^{٢٧} فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَدَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لِأَنَّهُ قَبْلَهُ سَالِمًا. ^{٢٨} فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. ^{٢٩} فَاجَابَ وَقَالَ لِأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ

وَصَيْتِكَ، وَجَدِيًّا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. ^{٣٠} وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحَتْ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! ^{٣١} فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. ^{٣٢} وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسِرَّ، لِأَنَّ أَحَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ». { (إِنْجِيلُ لُوقَا ١٥ : ١١-٣٢)

فأنا أمتع بصدر رحب جدا، إذا جاء أحدهم نادماً فسوف أفرح بمجيئه أكثر من الذين بايعوا أول يوم، لأنهم لم يضلوا وهذا كان قد ضلَّ، هم لم يُفقدوا وهذا كان قد فُقد، وعُثِر عليه أخيراً. من الطبيعي أن الوالد يفرح برؤية أولاده، أما فرحة الوالد بابنه الذي كان مريضاً فاستعاد الصحة فلا توصف، أنا لا أحب أبداً الصلح بدافع النفاق، أما الذي يتقدم للصلح تاركا خطأه فأتقدم إليه بسرعة أكبر.

أمر مهم

الآن أتحركم عن أمر آخر وهو أن الذين يجبون عقد الصلح بدافع النفاق فليذكروا أن ذلك لن يتأتى، لأن ما حدث في الأيام الأخيرة فإنما بمشيئة الله، فسيظل الناس ينضمون إلينا وسيعطون المرتبة والدرجة التي كانت لهم فيما مضى. وإن الذي كان مقدراً قد حدث ولا أحد يقدر على منعه من الحدوث، فكان الله ﷻ قد أخبر المسيح الموعود عن هذه الفتنة قبل حدوثها. فضعاف القلوب يقولون: ما الذي سيحدث الآن؟ هل سوف تتلاشى الجماعة الأحمدية؟ لكنني أقول إن الجماعة لا تنهار بسبب هذه الفتنة، بل تُشاد، وطوبى لمن فهم

هذه النقطة. إن الله ﷻ حين يصيب أحباءه بجرح فهم يتقدمون ويزدهرون أكثر، ألم تشاهدوا أي بستاني؛ فهو حين يشذب أي شجرة ويقطع بعض الأغصان تظهر مكانها أغصان جديدة، فحين قطع الله ﷻ بعض أغصان هذه الشجرة فليس لتيس وتذبل، بل لتزدهر وتثمر أكثر. فلا تظنوا أن الناس بسبب هذه الفتنة سيزعمون أن الجماعة كاذبة، كالا! بل هذه الفتنة تُظهر صدقها، وبذلك تحققت نبوءات المسيح الموعود عليه السلام. فإن مرض أي نبي وفرح أعداؤه بأنه سيموت عن قريب، ولكنه أخرج لهم إلهاما أن الله كان قد أوحى إليه سلفاً بأنه سيمرض، فهو دليل صدقه؛ فبسبب ذلك المرض لا يُوصم صدق ذلك النبي، بل يثبت صدقه أكثر. وكذلك مع أن الأخبار بحدوث هذه الفتنة كانت موجودة من قبل، لكنها لا تستطيع أن تمنع رقيتنا، بل بواسطة هذه الفتنة قد زودنا الله ﷻ بسيوف الأدلة والبراهين لكي تقتل بها غير المؤمنين.

كان حدوث الفتنة ضرورياً

(١) انظروا؛ قد بين المسيح الموعود عليه السلام في ١٨٩٢/١٢/٧ رؤياه التالية: رأيت في ١٨٩٢/١٢/٧ رؤيا أخرى؛ أي قد صرتُ علياً - كرم الله وجهه - أي شعرتُ في المنام كأني هو. ومن عجائب الرؤيا أن الرائي يشعر أحياناً أنه شخص آخر، كذلك شعرت حينها كأني علي المرتضى، وكان طائفة من الخوارج تعارض خلافتي، أي تحاول تلك الفئة إعاقة أمر خلافتي وإثارة الفتنة. عندها رأيت أن النبي ﷺ قريب مني ويقول لي شفقةً وتودُّداً:

"يا عليّ دَعهم وأنصارهم وزراعتهم." (التذكرة: ص ٢٠٩)

... ووجدتُ أن النبي ﷺ يأمرني بالصبر في وقت الفتنة هذه ويوصيني بالإعراض، ويقول: إنك أنت على الحق، ولكن الأفضل تركُ مخاطبة هؤلاء الناس.

في هذه الرؤيا كشف على المسيح الموعود ﷺ أن الناس سينكرون خلافته، ويثيرون الفتن فعليه بالصبر. وقد بين حضرته معنى هذه الرؤيا أن الناس سيرفضون خلافته، لكن لكلام الله معانٍ كثيرة، كما كان سيدنا المسيح الموعود ﷺ قد بين لإلهامه "شأتان تُذبحان" معنى آخر، وعندما استشهد حضرة السيد عبد اللطيف والمولوي عبد الرحمن طَبَّقه عليهما، وكلا المعنيين صحيح. فمن معاني هذه الرؤيا أن الناس سينكرون سيدنا المسيح الموعود ﷺ، لكنه يتبين من كلماته أن الخِلافة التي تقوم بعد وفاته سترفضها جماعة من الناس وتثير الفتنة. فلو لم ترفض جماعة الخِلافة لما تحققت هذه الرؤيا.

(٢) يقول الناس إن منكري الخِلافة كبار الناس، ونحن أيضا نوافقهم في ذلك، لكن المسيح الموعود ﷺ قد كتب عن الكبار أنفسهم:

"فأقول صدقا وحقا بأن الذي لا يبيع حياته وماله وشرفه في الحقيقة في هذا السبيل لا يدخل البيعة عند الله. بل أرى أن هناك كثيرا ممن بايعوا ظاهريا، ولكن لم تكتمل فيهم عاطفة حسن الظن، فيتعثرون كطفل ضعيف عند كل ابتلاء. وهناك بعض من سيئي الحظ الذين يتأثرون بكلام الأشرار فورا ويسعون إلى سوء الظن سعي الكلب إلى الجيفة. فأنتى لي أن أقول بأنهم داخلون في البيعة حقيقة؟ إنني أعطى بين حين وآخر علما هؤلاء، ولكن لا

يؤدّن لي أن أخبرهم بذلك. كم من المحتقرين سيعظّمون، وكم من العظماء سيُحقّرون! فهذا مقام خوف وعبرة. " (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية مجلد ٢١ ص ١١٤)

ولو لم يتحقّق الآن هذا الأمر المقدر من الأزل وكان المسيح الموعود ﷺ يُطلّع على ذلك بين حين وآخر، على هذا النحو، ولم يصعّر الكبار ولم تبرز الجماعة التي كانت تُخفي، لما ظهر صدقُه هكذا.

(٣) ثم لو لم تنقسم الجماعة إلى فريقين فكيف كان يمكن أن يتحقّق إلهام

المسيح الموعود ﷺ "خدا دو مسلمان فريق میں سے ایک کا ہوگا۔ پس یہ پھوٹ کا ثمرہ ہے۔" أي: سيكون الله تعالى مع أحد فريقَي المسلمين. فهذه نتيجة الفرقة. " (١٧ إبريل/نيسان ١٩٠٧ التذكرة الطبعة الرابعة ص ٧١٥)

أي ستنقسم الجماعة إلى فريقين وسيكون الله مع أحدهما حصراً. وإن قال أحدهم أن المراد منه الأحمديون وغير الأحمديين وأن الله يخبر بأنه ﷺ سيكون مع الأحمديين في الاختلاف، قلنا له: لو كان المراد كذلك لكانت العبارة "إن الله مع أحدهما" لا "سيكون مع أحدهما" لأن من إلهاماته ﷺ "إني معك ومع أهلك ومع كل من أحبك" (٩ يونيو/حزيران، ١٩٠٥ التذكرة الطبعة الرابعة ص ٥٥٤).. أي مع جميع الذين يحبونك الآن أو في المستقبل. أي أن الله الآن مع الأحمديين، إلا أن كلمة "سيكون" في الإلهام المذكور تُثبت أن الله في المستقبل سيكون مع أحدهما، مما يثبت أنه إشارة إلى انقسام الأحمديين إلى فريقين، فلو لم تظهر الفتنة الحالية لما تحقّق هذا الإلهام.

(۴) ثم يقولون: إنا نحن أصحاب حضرته عليه السلام وأحباؤه الكبار. ونحن نقول: صحيح، كنتم كذلك في زمن ما، فهل نسيتم إلهام المسيح الموعود الذي أخبر عنه حضرته صباحا عند طلب شيخ رحمت الله الدعاء منه، وقال إني كنت دعوتُ لك، وتلقيت إلهاما "شر الذين أنعمت عليهم" (۲۶ مايو/أيار ۱۹۰۵ التذكرة الطبعة الرابعة ص ۵۵۰) فلو لم يشارك اليوم في الفتنة بعض أولئك الذين كان حضرته عليه السلام ينعم عليهم، فكيف كان يمكن تحقق هذا الإلهام؟ وخاصة ذلك الرجل الذي قرأ حضرته عليه السلام هذا الإلهام مخاطبا إياه.

(۵) هناك إلهام تلقاه في ۱۳/۳/۱۹۰۷ وفي ۱۳ مارس/آذار نفسه توفي سيدنا الخليفة الأول، وفي ۱۳ مارس/آذار نفسه صدرت نشرة من لاهور. فلو لم تصدر هذه النشرة فكيف كان يمكن تحقق الإلهام "لاهور میں ایک بے شرم ہے۔" أي: هناك في لاهور شخص عديم الحياء. (التذكرة ص ۴۰۷ الطبعة الرابعة)

(۶) يقولون: في السابق كان يقال لنا الصلحاء فلماذا نوصف الآن بالسيئين؟ فنقول: إن حالة الإنسان تتغير حيث يصير الصالح طالحا ويصبح الطالح صالحا، وطوبى لمن كانت عاقبته حسنة، فلو لم يشارك في هذه الفتنة بعض الذين كنا نعدّهم من الصلحاء والذين كانت لهم نوايا حسنة، فكيف كان يمكن أن يتحقق كشف المسيح الموعود عليه السلام الذي قال فيه للمولوي محمد علي في الرؤيا: "آپ بھی صالح تھے اور نیک ارادہ رکھتے تھے، آؤ ہمارے ساتھ بیٹھ جاؤ۔"

أي: كنت أيضاً صالحاً وحسن النية، تعال اجلس معنا. (يونيو ١٩٠٤؛ بدر مجلد ٣، عدد ٢٩)^١

(٧) لو لم يكن أحد قد جمع جماعة لاهور في ١٩٠٩م بلاهور ليأخذ منهم بصمات الإبهام ولو لم يطلب منهم توقيع على أنه لا سلطة لخليفة المسيح وإنما الأنجمن هي الخليفة، فكيف كان يمكن أن تتحقق رؤيا المسيح الموعود عليه السلام حيث رأى أن عرشاً وُضع على سطح المسجد الصغير وأنا جالس عليه، وأن المولوي نور الدين المحترم أيضاً يجلس معي، وأراد شخص (لا داعي لذكر اسمه) أن يهاجمنا بجنون، فقلت لأحد أن يمسك به ويخرجه من المسجد، ثم أنزل تحت الأدرج فانصرف ركضاً، واعلموا أن المراد من المسجد هو الجماعة.

(٨) ثم أقول: إنه لو لم يُشن الهجوم على أفراد عائلة المسيح الموعود عليه السلام في هذه الفتنة ولم يسلط اللسان ضد أهل بيته فكيف كان يمكن أن يتحقق الإلهام "اے میرے اہل بیت! خدا تمہیں شر سے محفوظ رکھے۔" أي: يا أهل بيتي، حفظكم الله من الشر. (٢ مارس/آذار ١٩٠٧ التذكرة ص ٧٠٠ الطبعة الرابعة)

(٩) ثم لو لم يشن الهجوم على سلوكهم لما تحقق الوحي: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً." (٢ مارس/آذار ١٩٠٧ التذكرة ص ٧٠٠ الطبعة الرابعة)

^١ أي قد تلقى حضرته هذا الإلهام في يونيو ١٩٠٤؛ ونشر في بدر مجلد ٣، عدد ٢٩، بتاريخ ١/٨/١٩٠٤. (الترجم)

(۱۰) لو لم يقل البعض إن أم المؤمنين ظلت تنسج المكائد للخِلافة، وظلت تنشرها في النساء، وأنها تركت مشيئة الله من أجل مشيئتها، فكيف كان يمكن أن تتحقق الرؤيا التي رآها حضرته عليه السلام في ۱۹/۳/۱۹۰۷ حيث قال: رأيت في المنام أن زوجتي تقول لي: "میں نے خدا کی مرضی کے لئے اپنی مرضی چھوڑ دی ہے۔" أي: تخليتُ عن رضاي ابتغاءَ مرضاة الله.

فقلت لها في الجواب: "اسی سے تو تم پر حُسن چڑھا ہے۔" أي: وهذا ما أضفى عليك هذا الجمال. (التذكرة ص ۷۰۷ الطبعة الرابعة)

(۱۱) نعم لو لم تُشنّ الهجمات على إخواني الصغار الذين لم يدخلوا الميدان العملي بعد وما زالوا يدرسون، لما تحققت رؤيا حضرته التي قصها في ۲۱/۸/۱۹۰۶ حيث قال: رأيت البارحة أن هناك زنابير كثيرة قد ملأت وجه الأرض، وهي أكثر عددًا من أسراب الجراد. هي كثيرة بحيث إنها قد غطت الأرض تقريبًا، وبعضها طائر ويريد أن يلسع، ولكنها فشلت في ذلك. وأقول لابن شريف وبشير: اقرأ هذه الآية القرآنية، وانفخا بها بدنيكما، فلن تضركما. والآية هي: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (التذكرة ص ۶۶۹ الطبعة الرابعة)

(۱۲) لو لم تشنّ الهجمات على سكان قاديان فما كان لله حاجة ليقول: "ولا تسأم من الناس. أصحاب الصُّفَّة، وما أدراك ما أصحاب الصُّفَّة، ترى أعينهم تفيض من الدمع." (التذكرة ص ۵۲ الطبعة الرابعة)

(۱۳) لو لم يكن هناك سعي لاتخاذ لاهور مدينة المسيح بدلا من قاديان مقدراً، لما أرى المسيح الموعود عليه السلام قبل ۳۰ سنة من اليوم أن اسم قاديان

مكتوب في وسط القرآن الكريم، ولما أُري أن المدن المقدسة ثلاثة، أي مكة والمدينة وقاديان، وأُهما مذكورة في القرآن الكريم، ولما نزل الإلهام "خدا قاديان میں نازل ہوگا" أي: سينزل الله في قاديان. (٧ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٠٢ البدر مجلد ١ العدد ٢ ص ١١، التذكرة ص ٧٥-٧٦ الطبعة الرابعة) ولو لم يكن هناك سعيٌ لجعل لاهور مقابل قاديان، لما ذُكرت قاديان بشكل خاص على هذا النحو.

(١٤) لو لم يكن أحدٌ يعترض على العائلة النبوية لما كتب المسيح الموعود عليه السلام في كتيب الوصية: "ولقد استثناني الله تعالى أنا وأهلي وعيالي من دون الناس. والواجب على كل واحد غيرنا أن يتقيد بجميع هذه الشروط، رجلاً كان أم امرأة. ومن اعترض كان منافقاً."^١

فلم يكن أحدٌ ليمنع هذه الفتنة، وأنى كان لأحد أن يمنعها ما دام الله قد قدرها، فكان ذلك مقدرًا فحدث، لكن كما تشلّ يد أحد في مرضٍ ما فيضطر لقطعها إلا أنه لا يفرح بقطعها، وإنما يفرح بأن بقية جسمه قد سلم نتيجة قطعها.. كذلك نحن نتألم على أن جزءاً من الجماعة انشقّ، ونفرح معاً لأن سائر أفراد الجماعة نجوا من تأثيره الضار.

الآن أقدم تلك الشهادات التي أعطانيها الله في هذا المجال، وصحيح أني كنت أتمنى من صميم الفؤاد ألا تظهر هذه الفتنة، لكن كيف كان سيظهر صدق الإلهامات والرؤى التي أراها الله المسيح الموعود عليه السلام عن هذه الفتنة

^١ الوصية ص ٢٩ الخزائن الروحانية مجلد ٢٠ ص ٣٢٧

قبل الأوان. أما أنا فكانت تلك الإلهامات وحدها تنير لي الطريق في هذه الاضطرابات، إلا أن ربي أراد أن يخبرني شخصياً. وهذه منته التي مهما شكرته عليها لا أفي بالشكر، وإني أريد أن أبين هذه الشهادات للذين يستعدون لقبول الصدق، وهي التي أظهرها الله لي بخصوص جميع الفتن التي ظهرت بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام، وطمأنت قلبي وهيأت السكينة له بأن الطريق الذي اخترته هو الصواب حصراً، كما أخبرني بعض الأخبار عن المستقبل التي بتحققها ازداد إيماني.

الشهادة السماوية عن النزاع حول الخِلافة

إن أساس جميع النزاعات حول الخِلافة مسألة واحدة حصراً، وهي: هل ينبغي أن يكون هناك خليفة للمسيح الموعود عليه السلام أم لا؟ فإذا حُسم ذلك بُتَّ في جميع المباحث الأصولية، ويبقى ستار الشخصية فقط. فأقدم قبل كل شيء الشهادة السماوية التي لا أعتقد أن سعيدا سيرفض الخِلافة بعدها.

أريت في الرؤيا ليلة ١٩٠٧/٣/٨ دفترًا للإلهامات فقال عنه أحدهم إنه دفتر إلهامات حضرته عليه السلام وقد كتب فيه بخط بارز "عسى أن تَكَرَّهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم"، وبعد ذلك تغير المشهد ورأيت أن هناك مسجداً أثار الناس شغبا ضد قيِّمه، وأنا أتكلم مع أحد مثيري الشغب، وأثناء الحديث تخلّيت عنه راكضاً، وقلت: إذا انضمتُ إليكم فسوف يسخط عليّ الأمير.

ثم جاء شخص أبيض اللون وقال لي إن الذين لهم علاقة بالمسجد لهم ثلاث درجات: إحداها من يصلون فقط فهم أيضاً جيدون، والثانية من ينضمون إلى الهيئة الإدارية للمسجد، والثالثة القيِّم.

ومعها رأيت رؤيا أخرى أيضا لكن لا داعي لسردها هنا.

إذا تدبر أحد هاتين الرؤياوين فسيتبين عليه أن الله ﷻ كان قد أخبرني عن هذه الفتنة عن الخلافة حتى قبل وفاة المسيح الموعود بسنة وبضعة أشهر. وكان ذلك في زمن لم يكن ليخطر ببال أحد مسألة الخلافة، ولم يكن نظام الأنجمن قد رسخ بعد، حيث كانت مدة قصيرة جدا قد مضت على تأسيسها ولم يكن أحد حتى يتصور أن هذا الأنجمن حديث الولادة سيدعي يوما من الأيام أنه خليفة المسيح الموعود، بل كان زمن لم يكن ليخطر ببال الأحمديين أن المسيح الموعود ﷺ سيُتوفى، بل ربما كان كل شخص يفكر -رغم نشر الوصية- أن ذلك سيحدث بعد وفاته. وأي شك في أن العاشق لا يخطر بباله قط موتُ المعشوق. وكذلك كان حال الجماعة الإسلامية الأحمدية. فالإخبار عن الخلافة في ذلك الوقت بهذا الوضوح ثم تحقق ذلك الخبر حرفيا آيةٌ جليلة لا يمكن بعدها لأي تقيٍّ أن ينكر الخلافة. فهل يمكن لأحد أن يخبر عن حادث يتعلق بقوم قبل سنتين من حدوثه، في أوضاع لا توجد فيها آثار لتحققه، ثم يتحقق بعد سنتين حرفيا.

فانظروا كيف يثبت من هاتين الرؤياوين أن حادثا سيحدث ويبدو خطيرا إلا أن النتائج الجيدة ستظهر منه. فالنزاع الذي ظهر عن الخلافة في ١٩٠٩م كان يبدو خطرا جدا، إلا أنه ترتبت عليه فائدة عظيمة وهي أن حقيقة الخلافة تجلت على الجماعة مستقبلا. وأن خليفة المسيح اطلع على أن بعض الناس ينكرون الخلافة، فظل يركز طول حياته على أن الله ﷻ هو من

يجعل خليفة، وأن الخِلافة ضرورية لإنشاء الجماعة. وصحيح أن مؤسسي الفتنة لم يستفيدوا من هذه النصائح شيئا، لكن عدد الذين استفادوا من تلك المواعظ يقدَّر الآن بالمئات، والآن قد نجوا من العثار لأهم كانوا قد سمعوا من الخليفة الأول كثيرا عن المسائل المختلف فيها.

ثم يتبين من الرؤيا الثانية أن هناك مسجدا قد أثار بعض الناس الشغب على قيمه، فالمراد من المسجد في الرؤيا هو الجماعة. فتبين من هذه الرؤيا أن جماعة سيكون لها متولٍ (فالخليفة والمتولَّى كلمتان بالمعنى نفسه) وأن بعض الناس سيمردون عليه وأن أحدهم سيسعى لإغوائي أنا أيضا. إلا أنني لن أقع في فخه، وسأقول لهم صراحة إني إذا انضمت إليكم فسيسخط علي الأمير. فحين نقرأ إلهامات المسيح الموعود عليه السلام نجد أنه سمي "غلام شهزاده" أيضا، أي غلام الأمير. فالمعنى أن الذين هم يرافقون المتمردين سيعتب عليهم المسيح الموعود عليه السلام (أي سيكون عملهم ذلك ضد تعليم المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام). فهذه هي كيفية الفتنة التي كانت مقدرة، لكنه أخطر أيضا من هو صاحب هذه الفتنة؛ وهو أن مدلول الجملة "إن الأمير سيسخط على المتمردين على المتولي"، أن المتولي سيكون على حق، والمتمردين على باطل. وبعده أفاد -بالإخبار بأن من بين الفريقين الآخرين الذين لهما علاقة بالمسجد (أي عامة المصلين وأصحاب الأنجمن) سيكون عامة المصلين أفضل- أن هذه الفتنة لن تكون من عامة أبناء الجماعة، فبقي فريق واحد وهو الأنجمن، فتعين أنه هو المتمرّد. إلا أنه أفاد

بانفصالي أني سأبقى بعيداً عن مثيري الفتنة هؤلاء مع كوني عضواً في الأجنحة.

هذه الرؤيا واضحة ونقية لدرجة تبين منها عظمة الله وصدق الخلافة بجلاء قدر ما نتدبرها، قد لا ينكرها غير شقي.

شاهد هذه الرؤيا

قد يقول أحدهم: صحيح أن هذه الرؤيا واضحة جدا لكن ما هو الإثبات أنك فعلا رأيت هذه الرؤيا وما لم يُثبت ذلك لا تبقى لهذه الرؤيا أي منزلة أو درجة؟ فهو محق في هذا الشك، لذا أقدم المسيح الموعود عليه السلام نفسه شاهداً على صدق رؤياي هذه، وقد يتعجب البعض من قولي هذا أن المسيح الموعود قد توفي وكيف يمكن أن يعود إلى هذا العالم ليشهد على صدق رؤياي. فأقول لهم: صحيح أنه عليه السلام قد توفي إلا أنكم سترون أنه شهد على أني رأيت هذه الرؤيا في ١٩٠٧/٣/٨ وهو أني قصصت هذه الرؤيا صباح اليوم التالي على والدي المحترم، فأبدى قلقلًا إثر سماعها وقال إن المراد من المسجد الجماعة، فقد يعارضني بعض أفراد جماعتي فأمل علي الرؤيا، فأمليتها عليه وكتبها في دفتر الإلهامات؛ حيث كتب أولاً التاريخ ثم كتب "رؤيا محمود"، ثم كتب الرؤى الثلاث. فالإلهامات في هذا الدفتر قبل هذه الرؤى وبعدها، مسجلة بيد حضرته عليه السلام. (أري الناس حينها الدفتر) وهذا الدفتر ما زال محفوظاً عندي، ويمكن أن يراه كل طالب حق. فالذين يعرفون توقيع المسيح الموعود عليه السلام يمكنهم أن يشهدوا بأن ما ورد في هذا

الدفتري إنما كُتِبَ بيده حضرته عليه السلام نفسه، وأن الإلهامات لسنين كثيرة مسجلة فيه، ورؤياي هذه أيضا قد كُتِبَت فيه بيده عليه السلام، فهذه الشهادة قوية لدرجة لا يسع أيُّ أَحْمَدِي إنكارها. لأن من أنكر مثل هذه الآية البينة فلن يجد بداً من إنكار كل حقيقة.

فبعد الاطلاع على هذه الرؤيا، يمكن لكل إنسان أن يدرك لماذا أنا متأكد ومطمئن بمسألة الخِلافة لهذه الدرجة، ولماذا ظلت أثير موضوع الخِلافة وأزِيدها في أيام الفتنة غير مبال بكل مقاومة.

أود أن أزيل أيضا شبهة أنه لماذا لا تُعَدُّ هذه الرؤيا شيطانية؟ فالمسيح الموعود عليه السلام نظر إليها بإجلال وسجلها في دفتر إلهاماته، ثم تحققت حرفيا بعد سنتين. فالرؤيا التي تتحقق بهذا الشأن لا يمكن أن تكون شيطانية، لأنه إذا عُدت شيطانية فلن يبقى أي فرق بين الرؤى الرحمانية والشيطانية. وفي هذه الحالة يمكن أن يعد الناس كل إلهام شيطانيا.

الشهادة السماوية الثانية على مسألة الخِلافة

في ١٩٠٩م حيث لم يكن لي أي علم بأي نزاع عن الخِلافة، قال لي أحد في اليوم الخامس عشر تقريبا بعد انتخاب الخليفة الأول: ميان صاحب، الآن يجب إمعان النظر في صلاحيات الخليفة، فقلت له رداً على قوله: كان ذلك ممكنا حين لم تكن الخِلافة قد أقيمت بعد، أما الآن أي بعد البيعة فأني للخدام أن يحددوا صلاحيات المخدم. إذ كيف يمكن لنا أن نحدد صلاحيات مَنْ بايعناه، وبعد ذلك لم يتكلم معي حول هذا الموضوع وكنت

نسيته، ثم رأيت في يناير/كانون الثاني ١٩٠٩ رؤيا أن هناك بيتا عظيما جاهزاً، إلا أن السقف في طور الإكمال؛ وقد وُضعت أعواد خشبية على الجدران ولم توضع عليها الألواح بعد. وهناك بعض الأعشاب موضوعة على أعواد خشبية. ثم رأيت مير محمد إسحاق، ومرزا بشير أحمد، ونثار أحمد المرحوم (الذي كان نجل السيد بير افتخار أحمد اللدهيانوي) واقفين بالقرب من ذلك المكان. ورأيت في يد السيد مير محمد إسحاق علبة كبريت وهو يُخرج منها عوداً ليحرق تلك الأعشاب، فأقول: إن هذه الأعشاب سوف تُحرق لا محالة، ولكن لم يحن الوقت لذلك بعد، فلا تحرقها الآن حتى لا تحترق معها الأعواد الخشبية أيضا. فامتنع من إرادته. فمشيتُ إلى جانب آخر. وما مشيت إلا قليلا حتى سمعت ضجة، فالتفتُ إليها وإذا بالسيد مير محمد إسحاق يخرج عودا تلو عود من علبة الكبريت ويشعلها ليحرق الأعشاب. ويفعل ذلك بسرعة هائلة خشية ألا أعود إليه فأمنعه. ولكن أعواد الكبريت لا تزال تنطفئ بسبب السرعة. وعند رؤية هذا المشهد عدت إليه مسرعا لأمنعه من ذلك، ولكن قبل وصولي إليه كان قد أشعل النار في الأعشاب. فقفزت في النار وأطفأتها، ولكن قبل أن أنجح في إطفائها كاملة احترقت رعوس بعض الأعواد الخشبية.

حكيت هذه الرؤيا للسيد محمد سرور شاه ظهرا في اليوم نفسه فقال لي مبتسما: مبارك لك، فإن هذه الرؤيا قد تحققت، ثم حكى أن مير محمد إسحاق المحترم قد أرسل بضعة أسئلة إلى سيدنا الخليفة الأول مما أثار ضجة.

بركات الخِلافة

ثم كتبت هذه الرؤيا إلى سيدنا الخليفة الأول عليه السلام. وبعد قراءتها قال قد تحققت الرؤيا. ثم كتب حادثةً بالتفصيل على ورقة وقال لي أن أقرأها، وحين أنهيت قراءتها أخذها مني ومزقها. إن المولوي سيد سرور شاه شاهد على هذه الرؤيا، ويمكن أن يُسأل، فقد تحققت هذه الرؤيا حرفياً. وفي الرد على تلك الأسئلة تبين نفاق البعض، وكانت نار خطيرة تكاد تندلع إلا أن الله بفضلها أطفأها آنذاك، إلا أن رعوس بعض الأعواد قد احترقت فظلت النار تشتعل داخلها، وقد أُخبرَ في هذه الرؤيا أيضاً أن الأعشاب ستُحرق أخيراً، وهذا ما حدث فعلاً.

الشهادة السماوية الثالثة عن مسألة الخِلافة

كانت الفتنة قد ظهرت إلا أن اقتراح عقد الجلسة لم يكن قد صدر إذ رأيت في الرؤيا أن هناك جلسة يلقي فيها حضرة خليفة المسيح خطاباً حول موضوع الخِلافة قائماً، وكان بعض الحضور الجالسين أمامه من معارضيه، ثم أتيت ووقفت على يمينه وقلت له: يا سيدي، لا تقلق فلن يصل شخص إليك إلا أن نهلك دونك فنحن خدامك. فقصت هذه الرؤيا على حضرته، ثم عندما صدر اقتراح لعقد الجلسة وحضر الناس من الخارج أيضاً لتقديم المشورة في مسألة الخِلافة، وقام حضرة الخليفة الأول في فناء المسجد الصغير لإلقاء الخطاب، وجلست على يساره، فأمرني بالجلوس على يمينه بناءً على هذه الرؤيا، وبعد خطابه طلب مني أيضاً أن أقول شيئاً، وبينت موضوعاً معناه إنما نحن مطيعوك تماماً.

الشهادة السماوية الرابعة على مسألة الخلافة

حين بدأ نزاع الخلافة وصحيح أني كنت قد رأيت تلك الرؤيا التي أخبرتكم أنها مكتوبة بيد المسيح الموعود عليه السلام، كما كنت قد رأيت الرؤيا الأخرى التي ذكرت فيها اشتعال رعوس بعض المنافقين بأسئلة مير محمد إسحاق المحترم، ولكن مع ذلك كان على طبعي نوع من الثقل، وكنت أريد أن أخبر بوضوح أكثر عن هذه المسألة. فدعوت ربي ﷻ مرارا أن يدلني على الحق ويكشف علي الحقيقة، وأن يخبرني ما هو الحق، إذ لا يهمني الانتماء إلى أي حزب أو فريق، وإنما يهمني رضوانه. فظللت أدعو الله بضراعة وابتهاال في الأيام قبل الجلسة، ولم أخبر شيئا، حتى جاءت الليلة قبل الجلسة حيث كانت تطرح هذه الأسئلة، فازداد اضطرابي وبدأ قلبي يخفق بسرعة هائلة، وقلقت مما يجب أن أفعله الآن، فتضرعت لله كثيرا في تلك الليلة وقلت يا إلهي، صباح غد ستعرض هذه القضية، فأخبرني إلى من أنحاز، وإني أرى الخلافة على الحق حتى الآن، إلا أني أريد رضوانك ولا أصر على معتقدي، ولذا أريد أن تحل هذه المسألة ليطمئن قلبي، فجرى على لساني صباحا كلمات: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٨)، وبعدها انشرح صدري وقلت في نفسي: إني على حق، لأن لفظة ﴿قُلْ﴾ تدل على أن فكري صحيحة، ولذا أمرت أن أقرأ على الناس الحكم الإلهي. فلو كان معتقدي خاطئا لقال: "مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ" وكنت قد أسمعت هذه الكلمات لعدد من الناس، ولا أتذكر الآن أسماءهم.

الشهادة السماوية الخامسة على مسألة الخلافة

كنت قد رأيت رؤيا قبل ثلاث سنوات من وفاة سيدنا خليفة المسيح، وتأويلها أنه ستكون لوصيته علاقة بالنواب المحترم أيضا، فبعد ثلاث سنوات أثبت الله بتحقيق هذه الرؤيا كم كانت عظيمة.

الشهادة السماوية السادسة على مسألة الخلافة

في سبتمبر/أيلول ١٩١٣ ذهبت إلى "شملة" لبضعة أيام، وحين انطلقت من هنا كانت صحة سيدنا خليفة المسيح جيدة، لكن بعد وصولي إلى هناك رأيت في الليلة الأولى أو الثانية أن الوقت كان يقارب الساعة الثانية ليلا وأني جالس في غرفتي (في قاديان)؛ إذ جاءني مرزا عبد الغفور، (من سكان "كلانور") وناداني من تحت فلما نهضت وسألته ما الأمر، قال إن حضرة خليفة المسيح يتألم كثيرا بسبب الحمى التي وصلت إلى ١٠٢ درجة. وقال لي: إن حضرته أرسلني لأخبرك "أنا قد نشرنا وصيتنا"، فيمكن أن تقرأها في جريدة بدر في شهر مارس/آذار. فلما رأيت هذه الرؤيا قلقت جدا، وأردت أن أعود. ثم رأيت من المناسب أن أستفسر أولا، هل حضرته فعلا مريض، فأرسلت من هناك برقية سألت فيها عن حال حضرته، فكتب حضرته في الرد أنه جيد. كنت قد سردت هذه الرؤيا يومذاك على نواب محمد علي خان زعيم مالير كوتله والمولوي سيد سرور شاه المحترم، وربما سمعها أحد أبناء النواب، وميان عبد الرحمن خان المحترم، وميان عبد الله خان المحترم وربما أيضا ميان عبد الرحيم خان المحترم، لأني كنت قصصتها في مجلس هناك.

الآن ينبغي أن يلاحظ كيف أن الله أخبرني عن وفاة حضرته قبل الوقت وكشف عليّ أربعة أمور لا يقدر على اكتشافها أحد بتفكيره وتخمينه.

أولاً: أن وفاة حضرته ستكون بالحمى

وثانياً: أنه سينشر الوصية قبل الوفاة

وثالثاً: أن تلك الوصية ستنشر في شهر مارس/آذار

ورابعاً: ستكون لتلك الوصية علاقة ببدر

وإذا أضفت إلى هذه الأمور الأربعة خامساً فلن يكون غير مناسب، وهو أنه يتبين من هذه الرؤيا أنه ستكون لتلك الوصية علاقة بي أيضاً، لأنه إذا لم تكن كذلك لما كان لإخباري بإرسال رجل أي معنى، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يفهمه قبل الوقت، لكن الأحداث حين ظهرت على حقيقتها فبدى جلياً أن هذه الرؤيا تشير إلى خلافتي أيضاً، لكن لما كان هذا الأمر لم يكن يخطر في مخيلتي وتوهمي، لذا فحين أريت هذه الرؤيا، لم يكن ليخطر بالبال.

إن النتائج الخمس المستنبطة من هذه الرؤيا المذكورة آنفاً، أربع منها واضحة؛ أي وفاته بالحمى وهو ما حدث فعلاً، كما أن الوصية أيضاً واضحة لأنه قد نشر الوصية قبل الوفاة، كما أن نشر الوصية في مارس/آذار واضح أيضاً، لأنه قد كتب الوصية في مارس/آذار ونُشرت أيضاً فيه. الأمر الخامس أيضاً واضح؛ أي كانت للوصية علاقة ما بي كما حدث. أما الأمر الرابع، أي يمكن قراءتها في بدر؛ فبحاجة إلى شرح، لأن وصيته قد نشرت في جرائد "الفضل" و"الحكم" و"نور" ولم تنشر في جريدة بدر، لأنها كانت

منقطعة، فما معنى قراءتها في بدر؟ فلفهمه يجب أن نتذكر أن الرؤى والكشوف تتحقق أحيانا حرفيا وأحيانا يكون لها تأويل، وأحيانا يتحقق جزء منها حرفيا وجزء يحتاج إلى التأويل، وهذه الرؤيا أيضا من هذا القبيل، فكما أن الأمور الأربعة من هذه الرؤيا واضحة وجلية، وتحققت بجلاء، كان جزء منها بحاجة إلى تأويل أيضا. إلا أن الأمور الأربعة صدقت الرؤيا، أما تأويل هذا الأمر الرابع أن "بدر" هو القمر ليلة الرابع عشر، فقد سمى الله اليوم الرابع عشر من مارس/آذار بدرا لمشايمته ببدر وذلك ليخفي نوعا ما. وبين أن هذا الحادث سيظهر في الرابع عشر، فالوصية نشرت رسميا -أي قرأها أمينها نواب محمد علي خان- في الرابع عشر من مارس/آذار حصراً، وفي التاريخ نفسه تقرر انتخاب الخليفة.

الشهادة السماوية السابعة على مسألة الخلافة

لقد حدث قبل ما يقارب ثلاث سنوات أو أربع أو أقل بقليل أن رأيت أني راكب في سيارة وهي متوجهة إلى بيتي، فأخبرني أحد في الطريق بوفاة سيدنا خليفة المسيح، فقلت للسائق أن يسرع لأصل بسرعة. وكنت قصصت هذه الرؤيا أيضا على عدد من الإخوة قبل وفاة حضرته، (وأذكر أسماء بعضهم، وهم: نواب محمد علي خان والمولوي سرور شاه وشيخ يعقوب علي عرفاني والحافظ روشن علي، وربما كان ماستر محمد شريف بي ايه، محامي المحكمة العليا من لاهور أيضا) ثم طرأت علي الحاجة في السفر إلى لاهور لأمر مهم في أيام مرض حضرته. فلما كانت صحته

متأزمة رأيت من المناسب أن لا أذهب، فاستشرت الإخوة ما الذي يمكن فعله، وأحبرتهم أني أخاف السفر؛ لأنني لَمَّا رأيتني في الرؤيا أني مسافر في سيارة، وصلني الخبر بأن حضرته قد توفي. وأخاف أن يحدث ذلك في الحقيقة، فاقترحت أن يرسل شخص آخر لسد الحاجة. لكن من ذا الذي يمكن أن يمنع مشيئة الله من الظهور، فلما كان حضرته يقيم في منزل نواب المحترم، وكنت أيضا أقيم معه، ومن هناك كنت آتي لصلاة الجمعة في قاديان، ففي اليوم الذي توفي فيه حضرته أتيت كالمعتاد إلى قاديان لأؤم صلاة الجمعة وكما هي عادتي، تجهزت للعودة بعد الصلاة من الطريق الذي يمر من السوق، إذ تلقيت رسالة من نواب المحترم أنه ينتظرنني في الحارة الأحمديّة ويدعوني، لأنه يريد أن يتحدث معي في أمر، فلما وصلت إليه كانت سيارته جاهزة، فجلسنا فيها كلانا ورافقنا الدكتور خليفة رشيد الدين، الجراح المساعد. فانطلقت السيارة إلى منزل النواب، فلما وصلت إلى الشارع الذي أُعدّ في ميدان مدرسة تعليم الإسلام وبدأت تسير عليه، جاءنا أحد خدامه ركضًا وقال: لقد توفي حضرته، فقمتم لتلقائنا على الفور وطلبت من السائق أن يزيد سرعته لنصل بسرعة، فنذكر نواب المحترم تلك الرؤيا، فقال لي: قد تحققت الرؤيا.

هذه الرؤيا دليل عظيم على وجود الله ﷻ لدرجة لا ينكرها غير الشقي الذي يرفض قبول الصدق أصلا، فهي جالبة الرشد المنتاهي والهدى لمحِب الحق، ويتبين منها أن الإنسان مهما سعى جاهداً لتفادي القرار الإلهي آلاف

المرات لا بد أن يتحقق القدر الإلهي، فالأمر الذي كنت قد ألغيت السفر إلى لاهور خوفاً منه؛ قد حدث في قاديان تماماً.

الشهادة السماوية الثامنة على وفاة حضرته عليه السلام وخلافتي

قبل ما يقارب ثلاث سنوات أو أربع قد رأيت في الرؤيا أني جالس مع الحافظ روشن علي في مكان ما، ويبدو أن الحكومة البريطانية قد عينتني رئيس الجيوش، وقد عُينت على هذا المنصب بعد الرئيس السابق "السير أومور كري"، والحافظ روشن علي يسلم لي تفاصيل المنصب، فقلت عند تسلمي المنصب: إن هناك نقصا في كذا من الأشياء، فكيف أستلم هذا المنصب؟! فلم أكد أنني كلامي إذ انشق السقف (و كنا على السطح) فظهر منه سيدنا الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام، وخُيل إلي أنه هو رئيس أفواج بريطانيا في الهند "السير أومور كري" فقال لي: ليس لي ذنب في ذلك فإني قد استلمت هذا الشيء هكذا من "اللورد كتشنر".

كنت أستغرب دوما من هذه الرؤيا وما يمكن أن يكون معناها، وكنت أبدي الحيرة بعد سردها على الإخوة، إلام تشير؟ لكن ما أعظم قدرة الله إذ تبين عند حدوث الأحداث أن هذه الرؤيا شهادة عظيمة جداً على أن القرار الذي حصل بعد وفاة سيدنا خليفة المسيح إنما كان بحسب مشيئة الله ورضوانه. فعند وفاة حضرة المولوي المحترم مال طبعي إلى أن هذه الرؤيا كانت نبوءة عظيمة، وكنت قد أُخبرت فيها أنه بعد وفاة المولوي ستُعهد الخِلافة إلي، ولهذا السبب أريت حضرة خليفة المسيح في لباس "السير

أومور" وكان المراد من قيادة الجيش إمامة الجماعة. لأن جماعات الأنبياء أيضاً جيوش بواسطتها يهب الله الغلبة للدين. وهناك أملٌ بناءً على الرؤيا أيضاً في أن مهمة التبليغ ستتحقق إن شاء الله بواسطة الجماعة الإسلامية الأحمدية لا بواسطة غير المبايعين إلا ما شاء الله. فالبركة ستكون حصراً في أعمال المبايعين.

عندما تندبر هذه الرؤيا فإنها تبدو شهادة قوية، وبقدر ما تندبرها تتجلى منها العظمة الإلهية؛ إذ في هذه الرؤيا وُصف المسيح الموعود عليه السلام بـ"اللورد كتشنر" وسيدنا الخليفة الأول باسم "السير أومور"، وعندما نظرت إلى منصبي هذين المسؤولين، يتبين لنا أن اللورد كتشنر غادر الهند في نفس العام الذي توفي فيه المسيح الموعود عليه السلام، وعُين "السير أومور" رئيس القوات مكانه. لكن هذا ما حدث في الماضي، فالغريب أن "السير أومور كري" قد غادر في نفس العام والشهر الذي توفي فيه سيدنا الخليفة الأول، وكان ذلك في مارس/آذار ١٩١٤ وأقامني الله تعالى على هذه المهمة. فهل يمكن أن يصرف أي سعيد الفطرة هذه الرؤيا بأنها شيطانية، أو هل يمكن لأي إنسان أن يخترع أمراً قبل سنتين أو ثلاث من حدوثه، هل كان ممكناً أن اخترع من عندي هذه الأحداث كلها وأسمعها الناس قبل سنتين أو ثلاث سنوات، ثم تتحقق؟ فمن ذا الذي أخبرني أن خليفة المسيح سيُتوفى في شهر مارس/آذار، وفي عام ١٩١٤م وأني سوف أنتخب خليفة بعده. فهل أحد غير الله أيضاً يقدر على بيان ذلك؟ كلا لا يمكن.

إن ما أري في هذه الرؤيا أن هناك نقصا في الأشياء التي تُسَلَّم لي، وأني أرفض تلقّيها في هذه الحالة فكان إشارة إلى بعض الأشخاص الذين أثاروا الفتنة الآن، وإن الله قد برأ سيدنا خليفة المسيح من هذا الاعتراض الذي يلصقه البعض به، أن حضرته لو أطلع الناس على سرائر هؤلاء في عهده علناً ولم يكتفِ بالإشارات أو طردهم من الجماعة، لما ظهرت الفتنة اليوم. فالله تعالى قد ردّ من قبل المولوي المحترم قبل الأوان أن هذا العيب ليس من عهده، بل من ذي قبل، وأن هؤلاء كانوا قد فسدوا في زمن المسيح الموعود عليه السلام نفسه، وأنه لا دخل له في فسادهم، فهم كانوا فاسدين قبله.

فقد يعترض أحد أن هذا التأويل اختلق الآن، لكن يجب أن يُتذكر أن علم التأويل يحدث بعد حدوث أي حادث، فهذه الرؤيا واضحة وليس فيها أي تعقيد. فكل واحد يستطيع أن يتوصل إلى النتيجة بأن التأويل الذي بينته لا يوجد أفضل منه. كنت قد قصصت هذه الرؤيا على الحافظ روشن علي قبل الأوان وعلى الإخوة الآخرين إلا أنني لا أذكر أسماءهم.

الشهادة السماوية التاسعة على الخلافة

كما كان الله ﷻ قد أخبرني عن النزاع على الخلافة ووفاة سيدنا خليفة المسيح ووصيته وخلافتي قبل الوقت، كذلك قد أخبرت أيضاً من الذي سيتصدي لي ويثير الفتنة الشديدة وأنه سيخيب.

فقد رأيت قبل ما يقارب سبع سنوات في حياة المسيح الموعود عليه السلام في أكتوبر/تشرين الأول أو نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٠٢ أني في غرفة في

بركات الخِلافة

السكن الداخلي للمدرسة أو في مكتب مجلة "ريفيو أوف ريليجنيز" ويجلس هناك المولوي محمد علي على صندوق كبير وأنا واقف على بُعد، ثم دخل شيخ رحمت الله التاجر المحترم من الباب وبعد رؤيته لنا قال: ميان صاحب، أنت أطول أم المولوي المحترم؟ فقال المولوي المحترم: أنا أطول، بينما قلت أنا: أنا أطول. فقال شيخ المحترم تعالوا نقسُ كليكما، فأراد المولوي المحترم أن ينزل عن الصندوق، فترل ولكن بصعوبة، كصعوبة نزول الأولاد عن السرير العالي، لكن عندما أقامني شيخ المحترم معه قال فجأة: كنت أظن أن المولوي المحترم أطول، لكن تبين الآن أنك أطول. فقلت: نعم أنا أطول. عندها قال: إذن أرفع المولوي المحترم ليكون بمحاذاة كتفيك. ثم رفعه وأراد أن يجعله بمحاذاة كتفي إلا أنني كنت أرتفع بقدر ما كان يرفعه، لكنه نجح أخيرا في جعله بمحاذاة كتفي بصعوبة بالغة، فكانت قدماه عند مستوى ركبتي تقريبا، فاستغرب جدا. فهذه الرؤيا من الزمن الذي لم يكن هناك وهم وتصور بحدوث التراع والخصومة. فليس من قدرة الإنسان أن يخبر عن الأحداث التي ستحدث بعد سبع سنين. كنت قد قصصت هذه الرؤيا في الزمن نفسه على المولوي سرور شاه المحترم وسيد ولي الله شاه المحترم المقيم حاليا في بيروت (الشام) وسيد حبيب الله شاه المحترم الذي يدرس في السنة الأخيرة في كلية الطب. ويمكن أن تؤخذ منهم الشهادة. وأمل أنهم يتذكرون هذه الرؤيا، وربما كنت قصصتها على بعض الإخوة الآخرين أيضا، إلا أنني لا أتذكر أسماءهم. كنا نستغرب مما يمكن أن يعنيه قياس القامات، حيث لم

تكن قضية الخلافة ولا بيعة الخلافة، وكان المسيح الموعود عليه السلام حيًّا. ومن ذا الذي كان يفهم أن الأوضاع سوف تتغير وتظهر في صورة أخرى، لكن كلام الله يأبى إلا أن يتحقق. فقد أقام أصدقاء المولوي المحترم إياه مقابلي وأفضله الله فشلا ذريعا، حتى أنه اعترف شخصيًّا بهوانه، فقدر ما بذل أصدقاؤه المساعي الكثيرة ليرفعوه حطَّه الله وجعل ٩٧ بالمئة من الأحمديين أتباعي. ورفعني بلمّ شمل الجماعة بواسطتي.

الآن أقول أخيراً لجميع محبي الصدق إنهم إذا لم يستطيعوا حتى الآن اتخاذ القرار بخصوص الخلافة، فليتخذوه الآن. لأن هذا الأمر حصل من الله وليس لأي إنسان دخل في ذلك، فإذا رفضتم هذا الصدق الآن فستضطرون لرفض سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضاً. فتقبّلوا الحق ولا تخلقوا الفرقة في الجماعة. من أنا وما مكاني؟ إنما أنا خادم الجماعة الذي أراد الله أن يلّم بواسطته شمل الجماعة، فالعمل كله لله، لم تكن لي أي رغبة في الخلافة من قبل، ولا الآن، إلا أن الله تعالى حين أقامني على هذا العمل قمت، وليس لي أي دخل فيه. يمكن أن تقدروا بعد الاستماع إلى هذه الأمور أن الله إذا كان قد أطلعني قبل الوقت على النزاع على الخلافة وصدق الخليفة وعام وفاة الخليفة الأول وشهرها، ووصيته، وتلقّي خبر وفاته في السيارة، وأوضاع مرضه كلها؛ فهل كان يمكن أن يتردد قلبي ولو لحظة؟ ثم حين كشفت الرؤى الأخرى بتحققها في موعدها أن الله تعالى أراد أن أكون أنا الخليفة الثاني، وأن أتلقى المعارضة أيضاً، ومع ذلك أُنجح؛ فهل كان يمكن لي أن أستمع إلى مشورة هؤلاء عن

بركات الخِلافة

الخِلافة، وهم الذين كانوا يشيرون علي أن أتخلى عن هذه المهمة؟ فهل يسعني العمل ضد مشيئة الله؟ فإن فعلت فسأكون رافضاً لقرار الله. حماني الله من مثل هذا التصرف. لقد تحققت إرادة الله ﷻ ولم يتحقق ما أرادته الناس. فطوبى لمن قبل الحكم الإلهي ولم يتمسك بالعناد والتعنت بعد مشاهدة هذه الشهادات السماوية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

تتمة خطاب

حضرة الخليفة الثاني رضي الله عنه

(الذي ألقاه في بعد صلاتي الظهر والعصر في ٢٧
ديسمبر/كانون الأول ١٩١٤ بمناسبة الجلسة السنوية في قاديان)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آمين

ما أعظم منة الله ﷻ على المسلمين وما أعظم فضله على عباده إذ لا يمكن
أن يخجل أي مسلم في العالم أمام أحد في أي قضية، فالتعصب غير الشرعي
والعناد والتعنت أمور سيئة وكريهة جدا، أما المسلم فقد أقامه الله ﷻ في
مكانة رفيعة بحيث لا يصل إليها أي إنسان آخر في العالم. كنت أبين
موضوعا آخر، لكنني تذكرت أمرا آخر أثناء قراءتي الفاتحة، وأبينه الآن؛ وهو
أن الإنسان يواجه عشرات كثيرة في اتخاذ أي قرار لأن عقله محدود. فانظروا؛
كان يُظن في زمن أن السماوات تشكّلها معادن مختلفة. ثم قال الفلاسفة:

كلا، بل إن السموات هي منتهى النظر وليست شيئاً مادياً، ولا نعرف ما الذي يحدث غداً أو بعد غد. وهذا هو حال جميع العلوم؛ فالعلوم التي كانت قبل مائة عام لا توجد الآن، بل علوم أخرى أخذت مكانها. كان يقال في السابق: هناك شمس فقط وسائر الكواكب لا علاقة لها بها. لكن الآن تبين أن هناك كثيراً من النجوم حجمها هائل جدا وتقع على بُعد شاسع جدا وما وصل نورها إلينا إلا في هذا الزمن، وهي أكبر من الشمس بأضعاف كثيرة. كان يُظن في زمن والمثل مشهور، أن إبرة البوصلة تتجه دوماً إلى الشمال، إلا أن التجارب أثبتت أن إبرتها في ظروف خاصة تنحرف إلى الغرب، وبعد وصولها إلى نقطة معينة تبدأ بالعودة. باختصار؛ يحدث التغير في العلوم لدرجة أن ما يوجد اليوم سيتغير مستقبلاً. صحيح أن الله قد رزق الإنسان العقل والفهم لكنه لم يرزقه عقلاً لا يتغير قراره، ولذا علم الله المسلمين أن يدعوا دوماً. ولما كان الإنسان يتعثر كثيراً في أمور كثيرة؛ فلا ينبغي أن يدعو الله أن يعطيه شيئاً محددًا، أو أن يتحقق العمل الفلاني، بل يجب أن يدعو الله قائلاً: يا إلهي، أرجو أن تحقق لي ما هو خير لي في نظرك، وأن أنال ما هو خير لي. فلما كان الله لا يخطئ فالقرار الذي يتخذه يكون صواباً وصحيحاً. فهذا طريق سهل ورائع جدا لكل إنسان في كل شؤون العالم للتوصل إلى قرار. وهذا كان سهلاً لنا نحن أيضاً. كان يجب على كل من لم يفهم مسألة الخِلافة أن يدعو الله ويستخيره ويقول لله ﷻ: يا إلهي، إذا كانت مسألة الخِلافة صحيحة ففهمنيها، وإلا فأرني الطريق القويم واحميني من الانحراف عن

الصراط المستقيم. لكن المؤسف أن الكثيرين لا يهتمون بهذا. فقد اقترحت ذلك على كثير من الأحبة، فحين عملوا به نالوا الهداية؛ إما في الرؤيا أو الإلهام، أو طمأنهم الله وأقنعهم بوسيلة أخرى. فإذا كان أحد ما زال يعتريه الشك والتردد فليفعل ذلك، فسوف يهديه الله حتماً.

لقد بينت في الخطاب الأول أمراً واحداً، وهناك أربعة عشر أمراً آخر أود أن أتناولها، وأربعة منها ستأخذ الوقت المماثل للأول لكنني لا أجد الآن قوة ولا وقتاً لبيائها. وهناك أمر مهم آخر سأتناوله غداً، الحمد لله أتعاफी تدريجياً من السعال بفضل الله، إلا أن صدري يؤلمني، لذا أود أن أتناول بقية الأمور بشيء من الاختصار، فسوف أبينها بالتفصيل في وقت ما في المستقبل إذا وفقني الله لذلك.

السياسة

الأمر الثاني الذي أود أن أتناوله هو السياسة؛ فقد اتخذت منه جماعتنا كثيراً، وهذا الأمر أيضاً سبب ابتلاء كبيراً، والسؤال هو: لأي مدى يمكن أن نشارك في السياسة؟ وهل السياسة أمر جيد أم لا؟ وإذا كانت سيئة فلأي حد، وإذا كانت جيدة فلأي حد؟ فهناك اختلاف كبير في ذلك. حين أتدبر تعليم المسيح الموعود عليه السلام واضعاً هذه الوسوسة في البال وأسأل الذين رافقوه وعاشوه، أجدهم لا يستطيعون القول إنه عليه السلام قد وجههم قط إلى السياسة أو لفت انتباههم إليها، لكن في هذه الحالة يثار اعتراض لا من المثقفين ثقافة حديثة فقط بل من الناس القدامى أيضاً، أنه:

لماذا تمنع الجماعة الإسلامية الأحمدية من السياسة؟

يمكن أن يقول أي غبي قليل العقل أنه لما كانت السياسة لغواً لذا تمنع عنها الجماعة، إلا أن المطلّع على أوضاع الأمم الماضية والتاريخ لن يقول ذلك أبداً، ذلك لأن مدار الحكومات والسلطنات المادية يتوقف على السياسة فقط، ثم إن الله قد بيّن بعض القواعد للسياسة في القرآن الكريم. وإنما فعل ذلك لأنها كانت جيدة، ولو لم تكن حسنةً لما قدمها القرآن الكريم. وفي الطرف الآخر نرى أن الإضرابات تؤدي إلى الفوائد وتُنال بها الحقوق، كما أن الحكومات أيضاً لا تكره بعض الإضرابات الشرعية، فلماذا تمنع الجماعة الأحمدية من السياسة؟ ولماذا نهى عنها المسيح الموعود عليه السلام؟

لا أعتقد أن السياسة غير مجدية على الإطلاق، وإنما الفرق بين اعتقادي واعتقاد الآخرين أن الفوائد التي أراها، تختلف عن الفوائد التي يذكرونها، وبما أنه يُخشى على الأحمديين الابتلاء بسبب ذلك، أودّ أن أبين لكم الحقيقة الأصلية ليبتّ في الأمر للأبد إذا أراد الله. لقد علّمنا القرآن الكريم بأسلوب سهل أنه إذا أردنا التأكد من فائدة أي شيء فينبغي أن نتدبر فوائده وأضراره. يقول الله تعالى عن الخمر والميسر في القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢٢٠) أي يسألك الناس عن الخمر وهي حلال أم حرام، كما يسألونك عن الميسر، فقل لهم: (وما أطيب دين الإسلام الذي لا ينكر إيجابيات أي شيء،

بركات الخِلافة

فما أروع الجواب وما أطيبه) أن فيهما بعض الأضرار وفي الوقت نفسه لهما بعض المنافع أيضاً، إلا أن أضرارهما تفوق منافعهما.

فما أظفه من جواب! إذ لم يقل لهم رداً على سؤالهم: لا تشربوا الخمر ولا تلعبوا القمار، بل قال إن فيهما بعض المنافع والأضرار الكثيرة. فعليكم أن تقرّروا بأنفسكم ما الذي يجب عليكم؟ ففي هذه الآية بيّن الله لنا المبدأ أن في كل شيء نفعاً وضرراً، وإذا كان النفع في أي شيء أكبر من ضرره فعلينا أن نختاره، وإذا كان ضرره أكبر من نفعه فلنمتنع عنه. ف نظام العالم كله يسير على هذا المبدأ. فكل إنسان حين يرى في أي شيء نفعاً أكبر يختاره ويترك ما يجد فيه ضرراً أكبر. فبحسب هذا المبدأ يجب أن تنظروا إلى السياسة، فالسياسة ليست أمراً سيئاً بحد ذاتها لكننا نقول: إن شيئاً يكون حلالاً في وقت ويكون الشيء نفسه حراماً في وقت آخر. فالصلاة مثلاً عمل يتقرب به العبد إلى الله لكنه إذا صلى الصلاة نفسها عند طلوع الشمس أو غروبها فهو بدلاً من أن ينال القرب الإلهي يعدّ شيطاناً. وكذلك يقول الله ﷻ بحق الصائم: إنما أنا (الله) أجره. لكن النبي ﷺ يقول: إن الذي يصوم يوم العيد فهو شيطان، فصحيح أن الصيام من أفضل الحسنات لكن النبي ﷺ وصفه عملاً شيطانياً إذا قام به أحد يوم العيد. ومن هنا تبين أن أمراً يكون جيداً حسناً في وقت ويكون نفسه سيئاً في وقت آخر. فمثلاً إذا كان ظهرُ أحد يؤلمه فقال لأحد أن يكزّه على ظهره وسوف يمنحه جائزة، فهذا أمر حسن. لكنه إذا كان الشخص يتحدث جالساً في مجلس وجاء خادمه من الخلف وبدأ يكز ظهره

فهل تعرفون كيف سيعامل؟ من المحتم أنه سيعاقب؛ لأنه عمل ليس في محله،
فلكل عمل محل.

إن لكل حديث موعداً، ولبيان كل نقطة مناسبة.¹

فيكون الشيء سيئاً في وقت لكنه يصبح جيداً في وقت آخر. فالسبب وراء منع المسيح الموعود عليه السلام جماعته من السياسة، أنها ليس لها محل. وهي لا تجوز حتى لو كانت الحكومة تسمح بها. يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن الحكومة لحد ما تسمح بالنشاط في الأمور السياسية، لكنني أرى أن عاقبتها سيئة، لذا لا أسمح لجماعتي بها.

ذات يوم ذهب حضرته عليه السلام إلى مسؤول كبير في الولاية للقاءه، ومعلوم أن حضرته لم يكن يزور أحداً، لكنه ذهب إليه باعتباره ضيفاً له، كانت الحكومة ترى في تلك الأيام أن الرابطة الإسلامية ستفيد الحكومة، فسأل ذلك المسؤول حضرته عن رأيه في الرابطة الإسلامية، فقال حضرته: لا أعرفها. فلما كان الأستاذ الخواجه كمال الدين عضواً فيها فبين أوضاعها بأسلوب غريب جداً. فقال حضرته عليه السلام: أنا لا أحب أن يتورط الناس في السياسة. فقال ذلك المسؤول لحضرته: أيها الميرزا المحترم، ليست الرابطة الإسلامية شيئاً سيئاً، بل هي مفيدة جداً. فقال: كيف لا تكون سيئة، سيأتي عليها زمن يستفحل فيها السوء ويتفاقم. فقال له المسؤول: يا سيادة الميرزا، لعلك تقيسها على الكونجرس، لكن الرابطة ليست على شاكلة الكونجرس.

¹ ترجمه مثل فارسي. (المترجم)

لأن نتيجة كل شيء بحسب أساسه، ولما كان أساس الكونجرس سيئاً فقد ثبت أنه ضار. بينما حُدِّدَت القواعد للرابطة بحيث لا يمكن أن يحدث فيها البغي والتمرد. فقال حضرته عليه السلام: هذا تفكيرك اليوم لكنك ستري بعد أيام أن الرابطة أيضاً تقوم بأعمال ينجزها الكونجرس اليوم. ثم أثبتت الأحداث أن الرابطة الإسلامية أيضاً تميل إلى الحصول على السلطة الذاتية التي يطالب بها الكونجرس منذ مدة وإن كان هناك فرق في الكلمات. فذلك من حيث الظاهر. باختصار؛ مع أن المسؤول الكبير في الولاية ركز كثيراً على أن الرابطة الإسلامية لن تكون لها أضرار، إلا أن حضرته أجاب أنها لن تؤدي إلى نتائج جيدة. فهذا ما حدث على أرض الواقع في نهاية المطاف. فتذكروا جيداً أن حضرته عليه السلام حين نهي جماعته عن النشاط السياسي حتى لحد جائز، فليس لأن السياسة بحد ذاتها سيئة، وإنما السبب أن التورط فيها في العصر الراهن مدعاة للأضرار بدلا من المنافع. لذا أشرح الموضوع أكثر.

لقد ورد في حديث "عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَتَكُونُ أُمَّةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ." (البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام)

أي سيأتي زمن يريد الحكام فيه خيراً لأنفسهم ولن يهتموا براحتكم، وستظهر أمورٌ تكرهونها. فسأل الصحابة: ماذا نفعل في ذلك الزمن؟ هل نقاوم الحكام ونصلحهم؟ فقال: أدوا حقوق الحكام عليكم، أما حقوقكم عليهم فلا تطلبوها بأنفسكم، بل فوضوا الأمر إلى الله. وفي المقابل قد ورد في

الحديث أيضا: من قُتل دون عرضه وماله فهو شهيد. فمن ناحية وصف ﷺ المقتول دون عرضه وماله بالشهيد ومن ناحية أخرى أمر بالصبر وعدم مقاومة ظلم الحكام مهما بلغ، حتى نهي عن طلب الحقوق. بل قال: وکلوا أمرکم إلى الله. فدمج هذين الحديثين يتبين أن هذين الأمرين لزمين مختلفين. ففي زمن أمر بطلب الحقوق بإصرار، وفي زمن آخر أمر بقبول ما يُمنح، وعدم المطالبة بالحقوق ناهيك عن المقاومة. وسبب ذلك أنه يأتي على الحكومات زمنٌ تكون فيها ضعيفةً لدرجة إذا تمكنت من استعادة حالتها الأولى فجيد وإلا إذا حدث في حالتها تغيرٌ بسيط حتى لو كان إلى الأحسن، فهو يؤدي إلى الهلاك، ذلك لأنه قد تجلّى ضعفها. فتصدّي الشعب للحكومة في هذه الأوضاع يؤدي إلى الدمار المؤكد.

ففي هذه الحالة نهي النبي ﷺ المسلمين حتى عن المطالبة بحقوقهم حتى لا يؤدي ذلك إلى دمار حكومتهم في أثناء المطالبة بالحقوق. لكنه في غير هذه الأوضاع قد أجاز المطالبة بالحقوق ضمن حدود معينة، فأمر المسيح الموعود ﷺ أيضا بالنظر إلى المصالح في حدود معينة.

ما هي السياسة

يقول أحد كتّاب القصص إنه كان هناك جدار كل من تسلقه ورأى ما وراءه قفز إليه مبتسما ولم يعد. وقصة أن هناك جداراً في الحقيقة وأن كل من رأى ما وراءه قفز إليه ولم يعد؛ هي قصة كاذبة، لكن إذا تأملتم في السياسة تجدون مثلها كمثل الجدار نفسه. فلما كان طبع الإنسان يجب

العاجلة، وهو يجب ما تتحقق له فائدته عاجلا، ولا يجب التأجيل. لذا ينشغل الناس في أمور تترتب عليها الفوائد العاجلة. والسياسة أيضا من هذه الأمور، التي تُنال فوائدها سريعا، فحين يلاحظ الناس أنه بالتورط في السياسة تُنال الثروة والحكومة والمرتبة عاجلا، يندفعون إليها. وكما يقال: إن الأسد حين يتذوق دم الإنسان مرة يتربص صيده دوما، فإذا كان في الماضي يهرب خوفا من رجلين، فهو الآن لا يكاد يبالي بأربعين رجلا، بل يهاجمهم ليفترسهم. وكذلك السياسة؛ فحين يتورط فيها الإنسان لا يقدر على التخلي عنها، بل يتورط فيها أكثر فأكثر باستمرار.

النتيجة الخطرة الأولى للتورط في السياسة

فلما كانت السياسة من ناحية شيئا يُنسى كل شيء، حتى لا يبالي الإنسان السياسي بحياته وهو ينجذب إلى السياسة، ومن ناحية أخرى إن الوقت العصيب الحساس الذي حل بالإسلام الآن، لم يسبق له نظير. لذا فإن السواعد المشمرة للعمل في مجال الدعوة إلى الإسلام قليلة، والجنود الذين يحملون جبهته ويذودون عنه قليلون أيضا، لذا فانشغال المسلمين اليوم في السياسة سمّ لا يمكن أن يعيشوا بعد تناوله. ذلك لأن السياسة تتطلب اهتماما وانتباها كبيرين، فالذي يتورط في السياسة ينغمس فيها، بل يغرق كلياً. في العصر الراهن عندما تدور الحرب في أوروبا تهيب كل حكومة الجنود لجيشها قدر ما تستطيع، وتُعلم النساء والبنات والشباب أيضا قواعد الحرب للمساعدة في القتال، لأن هذه الحرب شديدة جدا لدرجة لا يكفيها

العدد القليل من الجنود. أما الحرب التي يواجهها الإسلام فهي أشد خطراً بكثير من الحرب الأوروبية، إذ يتصدى الإسلام وحده للعالم كله، والعدو قوي لدرجة أنه يستطيع تأمين ألف جندي لجيشه مقابل جندي مسلم واحد. فالمسلمون يتبرأون من الإسلام، وهم مسلمون بالاسم فقط، وفي الحقيقة هم بعيدون عن الإسلام بعد الآخرين عنه. فلا يمكن للعدد القليل أن يفلح في هذه الحرب، بل يجب على كل شاب وطفل وامرأة أن يتصدى لها. فمعلوم أنه حين يشبّ حريق في بيت أحد فلا يقال ادعوا السقاء ليحضر الماء ويصبّه على النار لأنه يتلقى راتباً على هذا العمل، وإن لم يأت اليوم فما فائدته؟ كلا، بل يندفع كل إنسان ليصب الماء على النار ليطفئها، حتى إن الأولاد الصغار والنساء أيضاً يساعدون في ذلك. وكذلك الآن قد أشعل العدو النار في بيت الإسلام، والأحقق من ينتظر وصول السقاء لإطفاء هذا الحريق، فالنار الخطيرة التي تحيط ببيت الإسلام من كل النواحي ليس بوسع رجل أو رجلين إطفائها. بل من واجب كل إنسان فيه رمق من الإيمان أن يسعى إلى إطفاء هذا الحريق، ومن الواجب على كل واحد منكم سواء كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً أو شيخاً أو شاباً أو شابة، أن يندفع لإطفاء هذا الحريق. فالذي يتغافل في مثل هذا الوضع فليس له أي علاقة بالإسلام، ففي العصر الحاضر الذي تأزم فيه وضع الإسلام، لو كان المسيح الموعود عليه السلام قد سمح للناس بالتورط في السياسة لانصرف جزء كبير من الجماعة إليها، وابتعد عن الدفاع عن الإسلام، مع أن الإسلام بأمرس الحاجة إليه، إذ إن عدد

جنوده سلفا قليل جدا، وأنى له أن يشغّل جزءا من جيشه في عمل آخر؟ فالسفيه من يطّلع على هذا الوضع الحساس للإسلام ثم ينصرف إلى السياسة، فمتى يجد فرصة لخدمة الدين؟ ما دام الناس يكسبون الصيت والشهرة في العالم عاجلا جدا بالانخراط في السياسة، لذا يتركون الدين من أجل هذه المنفعة العاجلة. أما في هذا العصر فقد صار الانجذاب إلى الدنيا أكثر من ذي قبل، فمهما جذبت السياسة الناس إليها قليل.

لذا لم يجب المسيح الموعود عليه السلام أن يفقد عددا ولو قليلا ممن معه بسماحه لهم بالتورط في السياسة. فلو قال أحد إنا تكبدنا الخسائر بسبب ترك السياسة إذ لم نفز بمراتب رؤساء المديرات والمناصب الحكومية المرموقة الأخرى، فليعلم أن المرء بتركها يفوز بقرب الله وباختيارها قرب الدنيا، فإن كنتم تحبون الله فاتركوا السياسة، أما إذا أحببتم الفرحة العاجلة -أي الدنيا- فهذا شأنكم، فافعلوا ما يحلو لكم، فليس لنا أي سيطرة عليكم حتى نكرهكم على تركها.

العاقبة الخطيرة الثانية للتورط في السياسة

السياسة تتطلب كثرة عددية، فحين يطالب بعضُ الناس الحكومة بشيء، تُحقق الحكومة طلبهم، لكنها تراعي الكثرة بخصوص تحقيق كل طلب؛ فإذا طلب الناس من الحكومة شيئا فسوف تستجيب للذين هم عددهم أكبر. لكن تأملوا الآن في وضعكم، فليست لديكم أي كثرة حتى تنجحوا بالضغط بواسطة في استصدار قرار بحكمكم، فوضعنا الحالي أنه حين يؤذينا أي عدو

ويسبب لنا المشاكل فإن جنود الحكومة يحموننا وينقذوننا. ففي السياسة لا ينجح أي قوم إلا بكثرة العدد، فلو أضرب بعض طلاب المدرسة وكان عددهم أقل من الذين لا يشاركون في الإضراب. فالإضراب يفشل، لأنه في مثل هذه الحالة يطرد المسؤولون الطلاب المضربين. أما إذا شارك أغلبية الطلاب في الإضراب أو كلهم باستمرار، فهناك أمل في نجاحه، وإلا سيواجهون فشلا ذريعا. الآن أخبروني أتم: أي كثرة عددية عندكم؟

في السياسة يندمج القوم الصغير في الكبير

من الأمور الثابتة بالتجارب أن الجماعات الصغيرة التي تتوجه إلى السياسة تحتاج إلى تشكيل تكتل، لأنه كما أخبرتكم ليس في وسع أي قوم النجاح في الأمور السياسية دون كثرة عدد أعضائها، لذا فهي تبدأ بالاحتكاك والاختلاط بالآخرين. ولكونها صغيرة، فبدلا من أن تضم الآخرين إليها تندمج بنفسها مع غيرها فتفتن. فانظروا: إن الخسارة التي أصابت جماعتنا اليوم، فإنما هي بسبب هذه السياسة؛ ففي البداية انشغل عدد من أفراد الجماعة في السياسة لكن لما كانت السياسة تتطلب دوما التكتل، اضطروا للانضمام إلى الآخرين. فالنتيجة أن الذين كانوا يقولون في البدء إنهم سيحذبون الآخرين إليهم بدأوا تدريجيا ينضمون هم أنفسهم إلى الآخرين، بحيث انضموا أولا إلى "أنجمن حماية إسلام" ثم حين زاد شغفهم بالسياسة انضموا إلى الرابطة الإسلامية، ثم حين رأوا أنهم لن ينجحوا هناك بسبب الخلاف الديني بدأوا تدريجيا يضحون بمعتقداتهم لإرضاء الجماعة الكبيرة

وطمعا في الشرف. هل تعرفون لماذا احتاجوا إلى ذلك؟ ذلك لكي يشكّلوا تكتلا، لكنهم في الحقيقة أضعوا الدين في السعي للحصول على الدنيا. فلاحظوا الآريين مثلا؛ كانوا في البداية يتدخلون عادة في الأمور الدينية فقط، لكنه حين وجّههم نور التعليم الحديث إلى الحقول الخضراء للسياسة، مالوا إليها فاندمج الدين فيها. فالיום يناقش: هل "آريا" دين أو جماعة سياسية فقط؟ وهل يتبين من أوضاعهم الحالية أنهم جماعة سياسية فقط، ولا يهمهم الدين مطلقا؟ لقد تلاشت خصائصهم كلها، بينما في الماضي إذا كان أي آري يدعى هندوسيا انزعج جدا، وكان يقول نحن لسنا هندوسا وإنما آريون. وكانوا يكرهون اسم الهندوس، لكن اليوم بعد تورطهم في السياسة يسمون أنفسهم هندوسا بكل سرور وذلك لكي يضموا إخوتهم الآخرين (الذين كانوا يسمون هندوسا وكانت لهم أفكار قديمة إلى تجمعهم لينجحوا في السياسة) ويشكّلوا تكتلا. فلو سئل أحدهم هل أنت آري أم هندوسي؟ لرد بشدة قائلا: لا فرق بين الآري والهندوسي فكلنا هندوس. فالآريون يضمون إليهم الهندوس الذين كانوا يكرهونهم سابقا، ويرحبون بهم لكي يشكّلوا تكتلا. لكن ضمّهم الآخرين إليهم من أجل تشكيل جبهة تؤدي إلى النتيجة نفسها التي تنبأ بها المسيح الموعود عليه السلام؛ أي يفقدون هويتهم يوما بعد يوم، وسيأتي يوم يندثر فيه المذهب الآري نهائيا لأن أتباعه قد انصرفوا إلى السياسة، ولا دين لرجال السياسة، فستبقى سياستهم ويندثر الدين. باختصار؛ لا تستقيم السياسة دون التكتل، لكنه إذا تشكّلت جبهة بدمج

الآخرين فلا بد من التخلي عن الخصائص الشخصية، فالقوم الذين يتخلون عن مزاياهم الخاصة فلا بد أن يواجهوا الدمار والهلاك. حين ظهرت آثار الفتنة الشديدة في ١٩٠٧م حيث أثار بعض الأشرار ثورة ضد الحكومة، لوحظ أن كبار المحامين أقاموا دعوة للمسلمين وأكلوا جميعا على مائدة واحدة، وتركوا كل عادات العنصرية والتقاليد، فلم يحدث ذلك؟ إنما لتوسيع نطاق التكتل. فالذين انصرفوا إلى السياسة كثيرا إذا سألتموهم عن الدين فسيقولون حصرا إنا هنود أولا، بعد ذلك هندوس أو مسلمون. لكن هل يمكن أن يسمح بذلك الإسلام؟ كلا لا يمكن. فالإسلام يعلم أنكم مسلمون أولا، وبعده شيء آخر، بل شيء محض بعده.

قد يعترض أحد ويقول: من الملاحظ أن البعض يتورطون في السياسة، وفي الوقت نفسه ينشطون في الدين أيضا، بل يبذلون وقتا كثيرا في خدمة الدين، مما يتبين أن الإنسان يمكن أن يخدم الدين مع تورطه في السياسة. لكنني كما بينت سابقا أقول: يمكن أن ينشطوا دينيا أيضا مع نشاطهم في السياسة، إلا أنه من المحتّم أن السياسة لما كانت تتطلب التكتل والتحزب، والذين يتورطون في السياسة إما يستخدمون الدين لكسب عواطف العامة -وبذلك تتلاشى الغاية الأصلية من الدين، وبدلا من أن يزدهر الدين يتضرر كثيرا- وإما يُجري هؤلاء التعديل في معتقداتهم من أجل الغالبية، وبذلك يعادون الدين من وراء قناع الصداقة. الفقراء البسطاء ينخدعون من علمهم ووجهاتهم فيعدّون ما نشره هؤلاء من معتقداتهم القذرة

والبدئية هي العقائد الأصلية الصحيحة وبذلك يضيع مغزى الدين. فصحيح أن بعض الناس يهتمون بالدين أيضا مع نشاطهم السياسي، إلا أن الصدق لما كان ضعيفا في العصر الراهن، فإن هؤلاء يُلحقون بالدين أضرارا فادحة.

يجب أن يكون للإحسان جزاء

ثم نقول: هناك شيء في العالم يسمى إحسانا، فقد كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "لقد نسينا في ظل الحكومة البريطانية كل المرارة والجفاء الذي تحملناه في زمن الشيخ" ثم كتب حضرته: مَنْ الذي جاء لإنقاذنا يوم كان الشيخ يمارسون المظالم، فهل جاء الأتراك لنجدتنا؟ كلا، بل كان الإنجليز. كان الناس يخفون دينهم في زمن الشيخ ومع ذلك كانوا يخافون، أما اليوم فنعلن ديننا علنا، فالمشاكل التي واجهناها من أجل الدين في السابق لا داعي لذكرها، إذ كان ذكر الله يعدّ جريمة حتى في البيت دع عنك العبادة في المساجد. أما الحكومة الإنجليزية فقد منحت الحرية بحيث سمحت لبعض الموظفين المسلمين في المكاتب والمحطات ببناء المساجد على أراضٍ حكومية، وإن كان المسلمون مع الأسف قد أضاعوا هذه الفرصة، وبإثارة سؤال في غير محله فيما إذا كانت أرض المساجد وقفاً أم لا قد دفعوا الحكومة إلى أن تحرمهم من هذه النعمة في المستقبل، وذلك لكي تحمي مكاتبها ومحطاتها من أن تكون مراكز للتراعات الدينية. فلو لم يُثر المسلمون ضجة عبثاً، لكان هناك أمل في أن تزداد هذه التسهيلات وتتطور في المستقبل، ولم يكن بعيدا ذلك اليوم الذي

يستطيع فيه المسلمون أن ينالوا ثوابا عظيما للصلاة جماعة بكل سهولة في كل مكتب. باختصار؛ إن للحكومة البريطانية منناً عظيمةً علينا إذ نحن نعيش بكل طمأنينة ونحقق أهدافنا. إن هدفنا الأكبر هو نشر الدين، ولتحقيق هذا الهدف نحن نتمتع بحرية مطلقة، فنستطيع أن نبلغ الإسلام في أي بقعة من البلد، وإذا أردنا الخروج إلى بلاد أخرى لنشر الدعوة فالحكومة تساعدنا في ذلك. ومقابل هذه المنن، حتى لو سلمنا جدلا -وإن كنتُ لا أعتقد به شخصيا- أن الحكومة قد هضمت بعض حقوقنا، فمع ذلك ينبغي أن نفهم أن الأشياء الصغيرة يُضَحَّى بها من أجل المقاصد العظيمة. فإذا كنا نتمتع بهذه الحقوق العظيمة والراحة عن طريق الحكومة، فبعض الحقوق التي كان يجب أن نُعطَها في رأينا، ولم نعْطَها حتى الآن، فلا ضير. فقبل مجيء الإنجليز كان المسلمون يُضطهدون بشدة في معظم مناطق الهند، فجاء الإنجليز فأهضموهم من الوضع المنحط المتردي. والآن إذا كانوا قد نالوا بعض الفوائد فليفهم المسلمون أنهم في السابق كانوا قد فقدوا كل شيء، فجاء الإنجليز فتسببوا في استعادة بعض الحقوق، فمثلهم كمثل من فقد المال ثم ساعده أحد في العثور عليه، فقدّم له شيئا من ذلك المال جائزة عن طيب خاطر. فحرية المسلمين أيضا كانت مفقودة فأعادها الإنجليز إليهم. فإذا كانوا قد استأثروا ببعض الحقوق أو جعلوا بعض المناصب خاصة بالإنجليز، فلا يقتضي الإحسان أن نقاومهم على ذلك ونثير ضجة. كلا، بل من مقتضى النبل والنجابة أن نذكر منهم ونساعدهم، وحتى لو كانوا لم يعطوا المسلمين بعض الحقوق فليصبروا على ذلك ويشكروا

الله ﷻ على أنهم استعادوا بعض ما فقدوا بفضل الله بواسطة الإنجليز، إذ كانوا قد أضاعوا الدين والدنيا أيضا، وكانوا قد فقدوا كلا النوعين من الحرية والحقوق، فالإنجليز منحوهم الحرية المطلقة في الدين. أما الدنيا، فقد منحوهم حرية كبيرة فيها أيضا، فكان يجب على المسلمين أن يكونوا ممتنين لهم لا أن ينتقدوهم. إن الذين يدركون أهمية الدين ففي رأيهم لو لم يعطِ الإنجليزُ الهنودَ حتى الوظيفة البسيطة جدا بعد منحهم الحرية الدينية، لما كان من حقهم أن يشتكوا، لأن المحسن يستحق الشكر في كل حال، والإنجليز أحسنوا إلينا.

الفكرة الخاطئة

بعض الناس يقولون إن الحكومة مضطرة لمنح الحقوق والحرية التي نتمتع بها، لأن في تقدُّم البلد فائدة الحكومة، فليست لها أي منة علينا. فأقول إن مثل هذا القول كمثّل من قال ليست لوالديّ أي منة علي، إذ قد أقاما العلاقة بينهما لإشباع رغبتهما مما أدى إلى ولادتي. فهل سيكون قوله هذا صحيحا؟ كلا لا يمكن أن يكون صحيحا، فلا نستطيع أن ننكر أن فائدة الحكومة تكمن في أن تحافظ على السلام، لكننا لا نستطيع أن نرفض منّيها، فلما كنا قد تمتعنا بالراحة والسكينة بواسطة هذه الحكومة، لذا نحن مدينون لمنتها على كل حال.

طريق الفوز بالقرب الإلهي

فاعلموا جيدا أن الجماعة الإسلامية الأحمدية لن تتقدم بالتورط في السياسة والاهتمام بها والنشاط فيها. فالذي ينشط منا في السياسة بالانضمام إلى

الآخرين لن ينجح، لأن الذي يرغب عن الله إلى الدنيا لن ينالها أبداً، فإذا كنتم تريدون سبل قرب الله فلن تفوزوا بها في طلب الدنيا. بل في طلب الله. فقد فتح الله ﷻ لنا أبواب فضله، والإنسان الذي بلغه النبي ﷺ السلام والذي قد خلا كبار الصلحاء منتظرين لِقائه قد بعثه الله ﷻ فينا، ثم وفَّقنا للإيمان به ثم وفَّقنا لخدمة جماعته أيضاً. فأنتم تُوابُّون وُحُكَّام لعِبتات الله، فليست لكم أي حاجة إلى أي منصب دنيوي. فخدام المسيح الموعود ﷺ خدام النبي ﷺ؛ لذا قد كُتبت أسماءكم في خدام الله، فأبي فخر وشرف يناله الإنسان أكبر من هذا. لقد قال النبي لأحد الصحابة إن الله ﷻ قد أمرني بأن أحفظك الفاتحة، فسأله قائلاً: هل قد أمرك يا رسول الله بذلك بذكر اسمي؟ فقال النبي ﷺ: نعم قد صرح باسمك. ففور سماع ذلك بدأ ذلك الصحابي يجهم بالبكاء قائلاً: هل أتمتع بهذه العظمة حتى ذكرني الله باسمي؟ فكم من ممن إلهية علينا وكم من نعم أنعمها علينا إذ قد ذكرنا. معلوم في العالم المادي أنه إذا نادى مسؤولٌ بسيطاً أحداً فهو يفتخر بذلك كثيراً، لكن الأسف أشد الأسف على الذي يناديه الله ولا يقدر نداءه. لقد ناداكم الله ﷻ، واعلموا أن ملوك العالم والمسؤولين لا يقدرُّون على أن يعطوكم ما يعطيه الله، لذا اندفعوا ملبين نداءه مسرعين وشاكرين. ففي مجال المتاع الدنيوي والنعم المادية يفوقكم الآخرون كثيراً، أما خزائن الدين فأنتم تتمتعون بها ولا يملكها غيركم، فما الذي تريدونه أكثر من تمُّتعكم بخدمة دين الله، فظلوا مشغولين فيها، ودَعُوا الإضرابات والمظاهرات الدنيوية لديدان الدنيا، أما أنتم فأضربوا ضد الشيطان.

مكالمة مع رئيس تحرير إحدى الجرائد

مرة ذهبت إلى لاهور للمشاركة في حفل عرس، فكان من ضمن الضيوف رئيس تحرير جريدة مشهور في لاهور. وفي تلك الأيام كان هناك نزاع بين تركيا والنمسا، فكانت المقالات تنشر في الجرائد لمقاطعة منتجات النمسا، وكنت قد كتبت مقالا قاسيا ضد رئيس التحرير ذلك، وردًا على مقاله السخيف. وحين لقيني رئيس التحرير ذلك سألني عن عمري، فقلت له: ١٩ عاما. فتعجب كثيرا وقال: هل هذا هو سنك فقط؟ وربما كان قد تذكر مقالي، ثم قال: كيف يجب أن تتعامل في رأيك مع النمسا التي احتلت ولايتين تركيتين؟ فقلت له: قد عُهدت إلينا مهمة عظيمة ولا نستطيع أن نبذل اهتماما بعمل آخر. ثم قال: يجب أن نقاطع منتجات النمسا، ولا نشترى منها أي شيء. كنت في ذلك الوقت لابسا طربوشا إيطاليا بالمصادفة، فأضاف قائلا: ينبغي ألا نستخدم الطرابيش المصنوعة في النمسا. فقلت له: لا أتفق معك في هذه الفكرة، وإن طربوشي هذا من صنع إيطاليا. في تلك الأيام كنت ألبس الطربوش، لكن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن يجب الطربوش، وأتذكر جيدا أبي ذات يوم عيد لبستُ طربوشا، فحين رأيته حضرته قال لي باستغراب: ما الذي أرى؟! أتلبس الطربوش حتى في يوم العيد؟! فاندفعت إلى البيت واستبدلت الطربوش بالعمامة فورا، (وبعد بفترة قد تركت لبس الطربوش نهائيا) فقال رئيس التحرير: كلا يجب أن نقاطع منتجات جميع البلاد المعارضة لتركيا حتما. فقلت له: عندما نفرغ من

مقاطعة واحد نقاطع غيره. فقال: مَنْ الذي تقاطعونه؟ فقلت: الشيطان، فهو يحكم جميع البلدان، فهو يهضم حقوقنا كل يوم ويعمل على إضعافنا، ألا تعينك مقاطعته؟ أما نحن فعندما نهزمه ننظر في أمر غيره، أما اليوم فالإسلام قد حلت به أيام صعبة جدا، إذ يُضعفه الشيطان، ولكنك لست قلقا على ذلك وإنما تشغل في مقاطعة مصنوعات النمسا. فعندما سمع قولي هذا لزم الصمت حجلا. فعلاً؛ فمن أراد الدنيا فلينشغل في السياسة، وليقاطع منتجات البلاد، أما الذي يحب الإسلام فلا يهمله غير مقاطعة الشيطان، فلو تقدم الإسلام وازدهر نتيجة تضحيتنا بأزواجنا وأولادنا وأصدقائنا ومعارفنا وأموالنا وراحتنا، بل ضحينا بكل شيء؛ فقد تحققت لنا غايتنا المتوخاة، ألا وهي سعادتنا القلبية. فإن عدد أفراد هذه الجماعة الإسلامية الأحمدية مقابل ما يقتضيه حال الإسلام أقل من نسبة الملح في العجين. ثم إذا انشغل بعضنا في السياسة فمن ذا الذي يأتي ويخدم الإسلام؟ فاتركوا الذين ينشغلون في السياسة وشأنهم وظلوا أنتم مشغولين في خدمة الإسلام.

سر النجاح

لقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم سرّاً لنجاحكم وهو: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨-٨٩) ومعنى هذه الآية بحسب وضع النبي ﷺ أن يا أيها الرسول قد آتيناك سورة تتضمن سبع آيات، وهي تُقرأ بتكرار، (وذكر الصفة الثانية لها أنها) قرآن عظيم، أو

معناها: قد آتيناك سورة الفاتحة والقرآن العظيم. ثم يقول الله ﷻ للنبي ﷺ: لما كنت قد فرتَ بهذه النعمة وأنت لست بخيلا، بل كريم جدا؛ لذا تمنى من أعماق الفؤاد أن ينالها الآخرون أيضا، لكن أولئك الحمقى جالسون في البيوت، ولا يسعون لنيلها، وأنت تحزن على تصرفهم هذا وتنظر إليهم بحسرة أنهم لماذا لا يتلقون نصيبا منها. لكن يجب عليك ألا تنظر إليهم بل ينبغي أن تنصرف إلى تربية الجماعة الطاهرة التي وهبناها لك، أما هؤلاء الكفار فنحن نتولى أمرهم. فقد قال الله ﷻ في آية أخرى عن النبي ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤). فالنبي ﷺ كان يريد أن يوزع النعمة التي أعطيتها على العالم كله، وكان يتمنى أن يقبلها العالم بأسره. فيقول الله له: إذا كان الناس يضلون فلماذا تحزن عليهم؟ بل يجب عليك أن توصل ما عندك إلى المؤمنين، فسوف يأتي زمن على هؤلاء الكفار حيث يجدون جزاء ما عملوا، فهذا المعنى بحسب شأن النبي ﷺ. أما نحن المسلمين فبحسب مكانتنا يكون معنى هذه الآية أن يا أيها المسلمون، لقد أنعمنا عليكم نعمًا عظيمة كثيرة، فإذا رأيتم المال والثروة عند أحد في الدنيا فلا تسعوا للحصول عليها، وينبغي ألا تنظر عيونكم إليها بعظمة وحيرة، بل ما أنزل عليكم ربكم هو إنعام عظيم، فعدوه فضلا إلهيا. ولا تنظروا إلى ما وجدته أهل الدنيا، فاتركوا الدنيا لأهلها، إذ قد ناداكم الله ﷻ إلى أعتابه، فلا يجملُ بكم الذهاب إلى مكان آخر. إلا أنه يمكن أن تكسبوا في الدنيا ما يكفي العيش، لأن الله ﷻ قد أمر بذلك، أما بقية أوقاتكم فاصرفوها إلى

خدمة الدين، وابتعدوا عن احتكاكم بهم يحو مزاياكم، ولا تشغلوا في أمور تفرض عليكم التغيير في معتقداتكم. إن ما بينت آنفا هو بحسب حاجات الجماعة الإسلامية الأحمدية وانطلاقا من وجهة نظر دينية فقط، أما السؤال: أي موقف يجب أن يتخذه الآخرون، أو إذا لم يترتب أي حرج على النشاط في السياسة، فلأي حد وبحسب أي القواعد يمكن أن نشط في الشؤون السياسية؟ فهذا موضوع آخر. ولا داعي لتناوله هنا الآن. الآن يكفي القول: إن حاجات الإسلام المعاصرة تتطلب أن تبتعد جماعتنا عن الأمور السياسية، حتى عن الحد المسموح به من قبل الحكومة، بل يجب عليها أن تقضي كل وقتها لتحقيق المهمة التي وُكلت بها، ولا تدع انتباهها ينصرف وتضيع مزاياها بالنشاط في السياسة.

زواج الأحمدية بغير أحمدية ومسألة الكفو

المسألة المهمة الثالثة التي أود أن أتكلم حولها اليوم، هي الزواج بين الأحمدية وغير الأحمدية، وتنشأ معها مسألة التكافؤ أيضا، فالمشاكل التي يعانيتها أفراد الجماعة كانت في علمي سلفا، إلا أنني خلال مدة الأشهر التسعة هذه قد اطلعت على هذه المشاكل والعوائق الكثيرة، ويتبين من رسائل الناس أن أفراد الجماعة يعانون كثيرا بسبب هذه المسألة. كان المسيح الموعود عليه السلام قد اقترح بخصوص ذلك أن تسجل أسماء الفتيات الأحمديات والشباب الأحمديين في سجل، وكان قد فتح هذا السجل استجابة لطلب

شخص قال له: يا سيدي، إنك تنهى عن التزاوج مع غير الأحمديين، فنحن بسبب ذلك نعاني كثيرا، لأن جماعتنا موزعة، فماذا نفع؟ واقترح أن يسجل في سجل أسماء جميع الآنسات الأحمديات والشباب الأحمديين، لكي يسهل العثور على العروس أو العريس، إذ عندما يبدي أحد رغبة في الزواج يمكن أن تُقدّم له اسمًا من هذه الأسماء، لأنه لن يرفض أحمدي قولك.

الحقيقة أن بعض الناس يقترحون أمرا نظرا لغرض شخصي خفي، فيواجهون في نهاية المطاف ابتلاء حتما، ففي تلك الأيام نفسها أراد الزواج أحمديُّ مخلص وبارّ، وكان لصاحب هذا الاقتراح المذكور ابنةٌ، فاقترح المسيح الموعود عليه السلام على المخلص المذكور أن يخطب ابنته، فخطبها، لكنه رفض بحجة واهية وزوّج ابنته من شاب غير أحمدي. فلما عرف المسيح الموعود عليه السلام بذلك قال: من اليوم لن أتدخل في الشؤون الشخصية المتعلقة بالزواج، فألغى هذا الاقتراح، لكنه لو نُفِّد في ذلك الوقت لما عانى الأحمديون اليوم ما يعانون.

الزواج واجب

لبقاء كل شعب في العالم وتقدّمه من الضروري أن يتزوجوا، كما أمر الله تعالى أيضا بالزواج. ثم إن النبي صلى الله عليه وآله أيضا أمر المسلمين بالزواج. فقال: من مات عازبا فهو من أراذل الناس. إلا أن الأحمديين يواجهون عوائق كثيرة لقطع هذه المرحلة المهمة. وذلك لأن غير الأحمديين ساحطون عليهم فلا يعطونهم البنات. ثم من المعلوم أن سكان قرية ما يزوجون بناتهم من شباب القرية نفسها حتى لو

كانوا فقراء، لأن البنت ستبقى في البيت. أما الأحمديون فهم ليسوا في كل قرية، وحتى لو وُجدوا فعددهم قليل جدا، فلو زوّج الأحمديون بناتهم من الشباب الأحمديين حصرا، فهم يضطرون لتزويجهم أحيانا في أماكن بعيدة جدا، وهم مضطرون لتحرّي أوضاع السكان بعيدا وتقاليدهم جيدا. فأهل العريس ينظرون أنه لو كانت البنت كذا وكذا فسوف يزوجون ابنهم، وأهل العروس يقولون ما دمنا نزوج البنت بعيدا عن البيت فيجب أن يكون الشاب حائزا على مكانة جيدة، فبسبب هذا وذاك تتأخر الزيجات. ثم إذا لم يزوّج أحد ابنته لفترة طويلة، فيخشى عليها الفاحشة، لأن الزمن حساس جدا، ثم يمكن ألا يهتم بهذا الآخرون. أما نحن فنولي أهمية كبيرة لهذا الأمر، ذلك لأن من واجبا إزالة سيئات العالم كله. باختصار؛ إن الأحمديين يواجهون مشاكل كثيرة بخصوص الزواج، ونظرا إلى هذه المشاكل يزوج بعض ضعاف الإيمان بناتهم من غير الأحمديين. فأنا قلق على ذلك كثيرا، لأن أضرارا بالغة تترتب على تزويج البنت من شاب غير أحمدى، إضافة إلى كون هذا الزواج غير جائز؛ لما كانت البنات ضعيفات الطبع ولا تكون تربيتهن جيدة، لذا يتخذن أفكار العائلة التي يزوّجن فيها، وبذلك يدمرن دينهن. أما إذا بقين على معتقداتهن فيستمر الصراع بين الزوجين، لأن اختلاف العقائد يدمر الحب الذي ينبغي أن يكون بين الزوجين. وبذلك تتلاشى الراحة والسكينة من القلوب. إن بعض الأحمديين وتنفيذا لتوجيه المسيح الموعود عليه السلام، يشيعون بحق من يريدون أن يعطوه ابنتهم أنه مقتنع بأفكار الجماعة وإنما بقيت البيعة،

وأنة سيبيع عندما يأتي إلى قاديان. وبعضهم يضغطون على الخاطب أن يرسل رسالة البيعة أيضا، أو يأتي إلى قاديان ويبيع، أو بعض الشباب يخدعون أهل العروس بحيث يقولون لهم ها قد أرسلنا رسالة البيعة، فالآن زوّجوني البنت، لكن هذه الزيجات أيضا لا تتمتع بالسكينة وراحة البال أبدا، لأن النية تكون فاسدة. فالذي ينضمّ إلى الجماعة من أجل الزواج فحسب، فليس لله حاجة إلى بيعته ولا هو يقدر على التمسك ببيعته، ولا يُصلح سلوكه. وحتى لو بقي أحمديا فهو يتسبب في ابتلاء أحمديين آخرين، فقد ظهرت عدة أحداث من هذا النوع، وكانت النتائج دوما سيئة، إما من ناحية الدين أو من ناحية الدنيا، إلا ما شاء الله. فغالبية أمثال هؤلاء الشباب يزعمون زواجهم بعد الزواج ويضطروهن إلى التخلي عن معتقداتهن، وبعضهم يمنعنوهن حتى من الصلاة وقراءة القرآن الكريم أيضا. لقد سمعت قبل بضعة أعوام أن شخصا زوج ابنته من شاب كان قد بايع من أجل الزواج فقط، فحين انتقلت البنت إلى بيت الزوجية بدأوا يضايقونها جدا بحيث عندما كانت تصلي كانوا يقولون لها إنها تقرأ التمام عليهم وعندما تقرأ القرآن الكريم يقولون إنها تسحرهم. وفي هذه الحالة لا تستطيع تلك المسكينة أن تصلي ولا أن تقرأ القرآن الكريم، فكان أبوها يبكي، فماذا يفعل؟ لكن من الذي يمكن أن يساعده؟! إذ كان يواجه عقوبة عمله. وكتب أحد آخر وقال: كنت قد زوجت ابنتي من شاب غير أحمددي، والآن يقول صهري: إني لن أطلقها ولن أبقئها عندي، وهكذا سأظل أضايقك. باختصار؛ إن الذين يزوجون بناتهم شبابا غير أحمديين لا يرتاحون

أبداً، وهم يفسدون دين بناتهم أيضاً، وسيواجهون وبال ذلك أيضاً حتماً. وسيظلون يحترقون ألماً وكمداً، فكل متدين يزوج ابنته من أهل الدنيا، لا يمكن أن يعيش مرتاحاً، ولا تترتاح ابنته أيضاً. ومقابل ذلك إن الذي يزوج ابنته من شاب أحمدى فقير جداً فلن يضع إيمانها على الأقل، كما من الواجب على كل أحمدى أن يستجيب لعظيم من أوامر المسيح الموعود عليه السلام وهو أن لا يزوج أي أحمدى ابنته من غير أحمدى. فيجب أن ينفذ الاقتراح الأول فالجماعة بحاجة إلى إثارة عظيم؛ فعلى الأحمديين إذا وجدوا شاباً متديناً وتقياً أن يزوجه ابنتهم حتى لو كان فقيراً نوعاً ما. ألا يزوج الأغنياء بناتهم من أقارب فقراء؟ بلى، يفعلون. فأنا أقول: من أقرب إلى أحمدى من أحمدى آخر؟! فهذه القرابة أقوى القرابات، فانبذوا التقاليد القديمة، واسعوا جاهدين لتزويج بناتكم من شاب أحمدى صالح وسعيد حتى لو تطلب ذلك التضحية منكم.

مشكلة العائلة

من العوائق الكبرى التي تعترض الزيجات عائق العائلة. إنني أؤمن بالتكافؤ، كما كان المسيح الموعود عليه السلام أيضاً يركز على ذلك، لكن لكل شيء حدود، وكل أمر يفيد ضمن الحدود. فمعنى الكفاءة أن يكون الإنسان المقابل من الوضع نفسه واللون نفسه والطراز نفسه وأن يكون نبيلاً وتقياً، فمثلاً إذا كان الإنسان غنياً جداً، وأعطى ابنته لفقير يكسب العيش بجهد، فهذه الزيجة من

ناحية دينية صحيحة وجائزة، لكن الفتاة التي ترعرعت في بيت غني عندما ستنتقل إلى بيت الزوجية سيظهر عليها الحزن والمعاناة والعتاب، لأنها ستعاني كثيرا لما اعتادت عليه من النفقات. لذا من الضروري أن يختار كل منكم عريسا لابنته نظرا إلى وضعه الاجتماعي والاقتصادي لتلا استمرار الجدال والنزاع بين الزوجين بعد الزواج، أو على أقل تقدير لا تبقى الفتاة تحسب نفسها مظلومة. لكن يجب ألا يكون في هذا الأمر إفراط لدرجة أن يصر كل إنسان على أن تتزوج ابنته في عائلة ثرية فقط. لأنه بذلك يستحيل الزواج على الفقراء، بل ينبغي أن يقارن كل إنسان وضعه بوضع الفريق الآخر لحد ما، ثم إذا كان هناك فارق بسيط فيجب أن يُهمله، لأن المشاكل تظهر حيث يكون الفارق كبيرا جدا. كما لو زُوجت ابنة ثري من شاب فقير لا يقدر على إطعامها وجبتين بسهولة. وكذلك ينبغي ألا يحدث أبدا أن يكون الرجل فقيرا جدا ويسعى أن يزوج ابنته من شاب حائز على منصب مرموق، بل ينبغي أن يزوجه من شاب صالح من الطبقة الاجتماعية نفسها. في جماعتنا يوجد أمثال هؤلاء؛ فقد قال أحدهم لسيدنا الخليفة الأول أن يبحث لابنته أو أخته (لا أتذكر جيدا) عن عريس، فاقترح عليه حضرته بعض الأسماء، فقال: هؤلاء لا يستحقون الزواج من ابنتي، بل يجب أن يكون خاطبها رئيس مديرية أو مفوضا إضافيا أو مسؤولا كبيرا من هذا القبيل. مع أنه شخصا كان من الطبقة البسيطة جدا. فالفقراء الذين يتخذون هذا الطريق يُخشى عليهم ابتلاء كبير. فغير أحمددي لا يعطي ابنته لأحمددي إلا حين يجده أغنى منه بكثير، لأنه

إذا لم تكن هناك فائدة دنيوية فما الذي أصابه حتى يعطي ابنته لأحمدي؟ إلا ما شاء الله. فالأحمديون الفقراء من المستحيل أن يتزوجوا في غير الأحمديين، أما الأحمديون فلو كانت لهم هذه الأفكار المتعالية فسوف يتعرض جزء من أفراد الجماعة لابتلاءٍ حتماً. أنا لا أقول إنه إذا عُرض على أحد أن يزوج ابنته من شاب غني فليرفض ويُصِرَّ على أن يزوجها حتماً من شاب فقير. كلا، بل إذا كان الله يريد أن يكرم أحداً فليقبل فضله. إلا أنني أستاذ من أن يستبقي المرء بناته في البيت أملاً في أن يخاطبهنَّ غنيّاً. كلا، بل إذا خطب ابنتكم ميسور الحال وهو يحب الدين فزوّجوها، أما إذا لم يخاطبها أحد من هذا القبيل وخاطبها شخص من الطبقة الاجتماعية العادية مثلكم، أو أقل بقليل، وليس فيه أي نقص ديني، فلا ترفضوا طلبه بناءً على عدم غناه. فإذا كان راتب أحد مئة روية وكان يبحث عن عريس لابنته من عائلة غنية وثرية جداً، فهذا الأمر يؤدي أحياناً إلى فتنة. لأن الباحثين من هذا النوع حين لا يجدون مبتغاهم في الأحمديين يزوجون بناتهم في غير الأحمديين. لكن يجب على كل أحمدي أن يختار للزواج إنساناً من الطبقة الاجتماعية نفسها، وينبذ هذا الطريق السخيف البذيء المذكور آنفاً، لئلا تعاني البنت ولا تذهب إلى عائلة غير أحمدية. كان بعض الأشراف والنبلاء في الأزمنة الماضية يزوجون بناتهم من شباب صالح وتقوي حتى لو كان فقيراً وكانوا يدبرون لهما العيش. فلو عمل أحد بهذا اليوم أيضاً فهو رائع. وإن لم يستطع فليختر عريسا لابنته من الطبقة الاجتماعية نفسها. إنني أعدّ الوضع المادي أيضاً ضمن التكافؤ كما قلت سابقاً، وكما

قلت قبل قليل أرى ذلك أيضا ضروريا لحد ما، والطبع يفرض علينا ذلك. فمثلا إذا زوّج أي إنسان من عائلة عريقة ونبيلة ابنته من كئاس قد أسلم فسوف تكره الزوجة زوجها وتحقره، وبذلك سيستمر الصراع بينهما ويموت الغرض من الزواج. أو إذا كان هناك عيب آخر يحقر الزوج بسببه الزوجة أو العكس فلن تكون النتيجة من هذا الزواج جيدة. لذا يجب أن يراعى دوما عند التزويج أن لا يكون الفرق كبيرا بين الزوجين من ناحية الأخلاق والتقاليد والتعليم والتربية والتمدن، ما يؤدي إلى الشجار الدائم. إن اختلاف الشعوب أيضا قد نشأ وبدأ نتيجة هذا السبب فقط، إلا أنه لا ضير إذا أعطى أحد ابنته لأحد من الشعوب النبيلة التي تشتغل في أعمال محترمة. انظروا كيف لم يزوج المسيح الموعود عليه السلام ابنته في المغول، كما لم يتزوج أحد منا في المغول، حتى أن زوجتي الثانية أيضا ليست من المغول. إذن أقول: يجب أن تنظروا إلى النبل والنجابة؛ فإذا اجتمع النبل والدين في عائلة فهي الأكرم، أما إذا كان أحد وإن كان من السادات وهو ليس متدينا، فهو الآخر ليس نبلا وشريفا. ما أروع ما قاله القرآن الكريم عن العائلات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٤)

يقول الله تعالى: أيها الناس قد خلقناكم من رجل وامرأة. فلو اعتُبر المراد منهما سيدنا آدم وأمنا حواء؛ فسيكون المعنى أنه إذا كنتم أبناء المرأة والرجل نفسيهما، فلا فضيلة لأحد على غيره. أو يكون المعنى: ما دمتم تولدوا جميعا

من بطن امرأة، فكما وُلد هذا وُلد ذاك أيضا، أو كما وُلد أحد من نطفة رجل وُلد غيره أيضا من نطفة رجل. فكيف يكون الفضل لأحد على غيره؟ ففي هذا الجزء من الآية قد ذكر الله الفضيلة غير الجائزة؛ حيث قال: **إِنَّكُمْ سَوَاسِيَةٌ**. فأين الفضل لأحد على غيره. ثم قال: **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾**، أي ما قيمة الشعوب والقبائل؟ إنما هي للتعارف. أي ليس الغرض من توزيع الناس في شعوب وقبائل ليحتقروا بعضهم ويتفاخروا. وإنما الهدف من ذلك أن يتعارفوا. فكما أن الحكومات توزع الجنود في أقسام مختلفة، فالشيء الذي يكون بكثرة يجب أن يكون هناك تدبير لمعرفة جزئياته. ولسد هذه الحاجة ظهر الانقسام إلى الشعوب والقبائل. والله هو الآخر يوجه الناس إلى هذه الحكمة. انظروا؛ لما كان عدد الجيش كبيرا فالحكومة تقسمه في أقسام، ثم لتمييزها تسميها بأسماء مختلفة، ثم توزعها إلى أقسام أخرى كالكتائب والفصائل والسرايا، وكل هذا التوزيع والتقسيم يكون للتيسير والتسهيل. فمثلا إذا قيل إن فلانا جندي في الجيش الحكومي، فلا يُعرف أين يقيم وأين عيّن، وغير ذلك. أما إذا قيل إنه ينتمي إلى الكتيبة الفلانية في معسكر كذا، فإن السامع يتعرف إليه فورا، وكذلك أسماء الشعوب. ثم قال: إن الناس ليسوا كلهم على درجة واحدة إذ بعضهم أكثر نبلا وبعضهم أقل وبعضهم أقل منهم أيضا، فهذا الفرق موجود حتما. لكن الكريم من كان عند الله كريما وتقيا، فقال **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**، فالذي يخاف الله أكثر هو الأصلح والأكرم. ومن هذا عرفنا أن بعض الناس كرام وبعضهم ليسوا

كذلك، والكرِيم من هو عند الله صالح وتقي. ومن هذا المنطلق لا يجوز تزويج الشاب الكريم فتاة وضيعةً. كما قال الله ﷻ ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٤)، يقول سيدنا الخليفة الأول: إن شخصا كان يتوجه إلى مومس تاركا زوجته، فذات يوم دعت زوجته تلك المومس وسألتها: لماذا يرغب إليكن الرجال تاركين الزوجات؟ فقالت: نحن ندلّهم ونمازحهم وتدلّل عليهم، فهم عندما يجالسونا نركلهم ونمازحهم ونداعبهم وبذلك يتمتع الرجال الخبيثون، فيرغبون فينا أكثر. فحين عرفت ذلك بدأت تسب زوجها فور دخوله البيت، ثم عندما اقترب منها تصرفت بيدها أيضا تصرفا مختلفا، فاحترار جدا فيما حدث. كانت زوجتي مطيعة وبارة جدا ولم تكن تتكلم أمامي، فما الذي حدث بين ليلة وضحاها، لكنه فهم القضية سريعا، ولا مته زوجته كثيرا قائلة: إنك تحب ذلك الخبث والقذارة ولا ترغب في زوجة مطيعة بارة. باختصار؛ إن المؤكّد والمسلّم به أن الخبيث يحب الخبيثة، وتحب الخبيثة رجلا خبيثا. وكذلك يحب الرجل الطيب المرأة الطيبة، وهما يجبان الطيبات، وبناء على ذلك يُنشئان العلاقة، لأنه لا تنشأ العلاقة بين شيئين ما لم تكن بينهما علاقة. يقول محيي الدين بن عربي: لقد رأيت غرابا وحمامة جالسين في مكان واحد، فاستغربت جدا إذ لا علاقة بينهما، فبدأت أتربّهما للعشور على القاسم المشترك بينهما، وبعد قليل حين انصرفا وجدتُ أن كليهما أعرج، فعرفت أنهما بسبب ذلك اجتمعا في مكان واحد. فلا بد من وجود

علاقة معينة بين كلا الزوجين. كما يقول المثل: إن الطيور على أشكالها تقع، فلو قرن الكريم بوضيع لتضرر الكريم كثيرا. ومثل ذلك إذا زوجت ابنة أحمدية مسكينة من شاب لا علاقة له بالدين إذ لا يصلي ولا يمارس الشعائر الدينية الأخرى، فكم ستعاني؟ هل يمكن أن تعيش بطمأنينة وراحة البال؟ فقد ورد في الحديث أن الرجل إذا دعا زوجته ليلا للجماع ورفضت، فاللعنة تنزل عليها طول الليل¹. فإذا كانت المرأة من ناحية قد أمرت بطاعة الزوج لهذه الدرجة، ومن ناحية أخرى إذا كان الاختلاف بالغا لهذا الحد، فكم ستواجه المرأة من المشاكل، وكيف يسود الأمن والسلام في مثل هذا البيت؟

قرار النبي ﷺ عن النسب

كان أسلوب كلام النبي ﷺ جميلا جدا وكل من كان له طبع سليم كان فداء له. ففي العرب كانت للنسب والقبيلة أهمية كبيرة، لذا سأل الصحابة رسول الله ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ (وكانوا يتوقعون أنه سيذكر أسماء بعض القبائل فتكرم) قَالَ أَتَقَاهُمْ لِلَّهِ. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَّهُوا. (البخاري، كتاب الأنبياء باب في قول الله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)

¹ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضباناً عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح. (البخاري، ومسلم). (المترجم)

بركات الخِلافة

في هذه المكالمة أجاب النبي ﷺ سؤال الصحابة ثلاث مرات، لكنكم إذا تأملتُم في الأجوبة الثلاثة فستجدون أنها جواب واحد في الحقيقة. وصحيح أنه غيرٌ أجوبته بحسب رغبة الصحابة، لكن فحوى كل جواب كان نفسه. ففي الجواب الأول قال: إن التقى هو الأكرم، وفي الجواب الثاني وصف يوسف ﷺ كريما لكونه نبيا وابنَ نبي وحفيدَ نبي، وبتعبير آخر كان تقيا وابن تقى وحفيد تقى. ففي هذا الجواب ربط الكرامة بالتقوى. وفي الجواب الثالث أيضا راعى الأمر نفسه حيث قال: إن الذين كانوا يُعدّون كراما في الجاهلية فسوف يعدون كراما في المسلمين أيضا بشرط أن يتفقهوا في الدين. والتفقه في الدين أمر عظيم جدًّا، فتعلّم الدين أمرٌ والتفقه فيه أمر آخر تماما؛ فالمراد من فقه الدين أن يطلع المرء على مغزى الدين ولبه، وبهذا الشرط أشار مرة أخرى إلى أن الكريم هو المتدين والمتقى والمطلع على مغزى الدين. ففي الأجوبة الثلاثة قد وضح للمسلمين لب القضية بأسلوب رائع، لئلا يفتخروا بكرامة النسب فقط، بل يجب أن يهتموا بالتقرب إلى الله أيضا. ومن هذه الأجوبة عرفنا أن غير الصالح لا يمكن أن يكون كريما من أي قبيلة كان. فللكرامة لا بد من الصلاح والتقوى.

معيار العائلة العريقة

في الآية الكريمة والحديث النبوي المذكورين آنفا قد ذكر معيار العائلة النبيلة والعريقة أيضا، فلاحظوا أن عائلة السادات تُعد في المسلمين أشرف العائلات، وسبب ذلك واضح أنها تنتمي إلى أتقى الناس في العالم، أي النبي ﷺ.

أما الهندوس فلماذا يُعدّون طبقة البرهمن أسمى وأعلى؟ إنما السبب أنهم يَعلمون الناس الدين وكانوا يعملون بوصايا الدين هم شخصيا أيضا، فنالت الكرامة بموجب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. وفي المقابل إن الذين يمارسون أعمالا أدنى درجة يُعدّون أراذل لعلاقتهم بأشياء دينية، وهي تؤثر في أخلاقهم وعاداتهم أيضا. ونظرا إلى ذلك صنف الناس العائلات والقبائل أعلى وأدنى. فالإسكاف مثلا عائلة، وفي زمن مضى لم تكن أي أهمية لهذا العمل، وكانت علاقة هؤلاء بسبب عملهم بأناس من طبقات دنيا، إذ لم يكن الكبار يتوجهون إلى محلاتهم، كما لم تكن لديهم ثروة ليستثمروا في أعمال كبيرة، بل كانت لهم محلات صغيرة، فأصبحوا يُعدّون من الأراذل. وذلك لأن النتيجة الحتمية لعلاقتهم الدائمة بأناس من طبقة دنيا هي أن تتأثر أخلاقهم، فصنّاع الأحذية في بريطانيا يستثمرون في شركات ومصانع كبيرة، فيُنشئ كبار الأشراف العلاقة بهم، ذلك لأن وضعهم قد تغير، وهم أصبحوا يُعدّون من الكبار، لأن ما كان يخشى عليهم من تأثر أخلاقهم سلبيا قد زال بسبب تغير الأوضاع. ومثل ذلك هناك أعمال تؤثر بنفسها سلبيا. فحرفة الموسيقى مثلا تؤثر سلبيا في قلب الإنسان بحد ذاتها دون العلاقات السيئة التي تنشأ عنها، لذا يُعدّ أصحاب هذه الحرفة من الأراذل. فأساس العائلات الشريفة الكريمة أيضا كان في الأصل على التقوى والحسنة والأخلاق النبيلة، إذ قد صارت قبيلة كبيرة نظرا لعلاقتها بإنسان صالح، وأخرى لعلاقتها بشجاع، وثالثة لعلاقتها بكريم ورابعة

لعلاقتها بفتح وهلم جرا. فإذا أمعنا النظر في أصل الشعوب والقبائل فسنعجد أساس نبلمهم وشرفهم في زمن ما، كان في الأخلاق الحسنة فقط، فلما كانت العلاقات تؤثر حتما في أخلاق الإنسان، لذا يتحتم إكرام العائلات الكريمة أيضا لحد ما. ومن الضروري للتعرف إلى العادات والأخلاق السيئة والحسنة أن يُنظر إلى القبائل، لكي لا ينشأ الانزعاج لاحقا. فالأخلاق يُنظر فيها لكي تظهر النتائج الجيدة؛ فإذا تقدّم إلى أحدكم شاب ترضون أخلاقه وعاداته - مهما كانت عائلته وقبيلته - فعليه أن يزوجه ابنته، فالذي يُعدّ اليوم وضيعا يمكن أن يصبح غدا كريما. فإذا كان شخص قد أسلم من عائلة دنيا أي من الكناسيين مثلا، فأنا سوف آكل معه الطعام على المائدة نفسها، بل أستطيع أن آكل من صحنه ومن طعامه المتبقي، وكذلك هو يمكن أن يأكل ما فضل عني. لأنه حين نطق بأن "لا إله إلا الله محمد رسول الله" لم يبق أي فرق بيني وبينه، فالحقوق التي لي في الإسلام له أيضا نفسها، فليس فيها أدنى فرق. في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه جاءه ملك قد أسلم، وفي أثناء الطواف وقعت قدم أحد الصحابة مصادفة على ثوبه فسقط الثوب، فلطمه على ذلك. فقال له أحد إن سيدنا عمر سوف يقتص له منك، فقال هل سوف يأخذ القصاص مني أنا ملك غسان من أجل هذا المفلس! ألن يتركني أنا أيضا؟ فقال الصحابي: كلا لن يتركك. فلما كبر عنده الشك في الانتقام توجه إلى سيدنا عمر وسأله: إذا ضرب أي كبير إنسانا رذيلا فهل سوف تنتقم منه من أجله؟ فسأله عمر: يا جبلة، هل ضربت أحدا؟ إذا كنت قد ضربت أحدا فوالله سوف أنتقم

منك من أجله حتما. فلما سمع ذلك هرب ليلا، وتنصّر قومه كلهم. فقال عمر رضي الله عنه لا نبالي بذلك. فجميع المسلمين من ناحية الحقوق سواسية. لكن في الزواج لا يراعى ذلك فقط بل يجب أن يراعى هل هناك انسجام في أخلاق الفتاة والشاب إذ يعقدان قرانا طول الحياة. فأخلاق بعض الشعوب تكون منحطة، فلا بد من اجتنابها لئلا يحدث نزاع وشجار دوما، فلا بد من مراعاة الكفو لحد ما لكي يعيش الزوجان براحة وطمأنينة. لكني كما قلت قبل قليل: لكل شيء حدود؛ فقد أخبرنا الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ أن أصل الفضيلة والكرامة يكمن في التقوى. فلا تتجاسروا على القول بأن الشعب الفلاني ديني. يمكن أن تحتنبوا مزاجحة بعض القبائل والشعوب بسبب الاختلاف في الأخلاق والعادات، لكن لا تقولوا بأن ذاك الفلان ضيع. لأن الذي هو كريم اليوم قد يكون وضيعا غداً بتغير الأوضاع، فالناس في نظر الله سواسية، والذي عاداته وأخلاقه نبيلة فهو الأفضل. فإذا كانت أخلاق الشاب وأفكاره تعارض أفكار وعادات الفتاة التي يريد خطبتها فينبغي ألا يتزوجها. أما الشرط بأن تكون الخطيبة من عائلة المغول وليس ذلك فحسب بل يجب أن تكون من فرع "برلاس" حتما وغير ذلك، فلا يجوز. ففي أمور الزواج يجب أن تعطوا الأولوية للبر والتقوى، ثم يمكن أن تراعى التكافؤ في الأخلاق والعادات، وتذكروا جيدا أن أداء فريضتكم يتطلب تضحيات كثيرة. صحيح أن الشاب الأحمدى يمكن أن يتزوج فتاة غير أحمدية، لكن حاجاتنا اليوم تقتضي منا ألا نأخذ فتيات من

غير الأحمديين ولا نعطيههم فتياتنا. فكان المسيح الموعود عليه السلام قد قال في الإعلان عن الزيجات أن يتزوج الأحمديون فيما بينهم، ثم سمح للأحمديين بالزواج من غير الأحمديات. لكن الأوضاع الآن تفرض علينا من جديد ألا نعطي بناتنا لغير الأحمديين ولا نأخذ منهم بناتهم إلا لاضطرار شديد ولمدة معينة؛ لأن عدد أفراد الجماعة قليل، والجماعة تعاني أن الأحمديين يتزوجون بنات غير أحمديات، أما الفتيات الأحمديات فلا يسمح لهن بالزواج من غير الأحمديين، فيعانين المشكلة في العثور على شباب أحمديين للزواج، فبسبب ذلك يتعرض بعض ضعاف الإيمان لابتلاء، فيعطون بناتهم لغير الأحمديين. فكثيرون يكتبون إلي أن البنت قد بلغت سن الزواج فدبر لها الزواج، وحين ألقى نظرة على شباب أحمديين أجدهم قد تزوجوا بنات غير أحمديات. وأقول: إذا تزوج الشباب الأحمديون من بنات غير أحمديات فأين تذهب البنات الأحمديات؟ فهل تحبون أن يتزوجن غير أحمديين فيواجهن الابتلاء؟ فلا تبقى إلا الجماعة التي تراعي جميع أفرادها؛ فنظرا إلى ذلك لا تأخذوا بنات الغير واحفظوا أحبابكم من الابتلاء، لكي تقوى جماعتكم.

الصلاة بالجماعة

بعد ذلك هناك عيب آخر أود أن ألفت انتباهكم إليه؛ بعض النقائص تبدو صغيرة لكنها تتعاضم لاحقا، وتترتب عليها أضرار فادحة. ففي جماعتنا نقص وأرى أن سببه الاضطرار نوعا ما، لكنني أقول: يجب أن يكون كل أحمدي

حذرا جدا، وإن لم تنتبه جماعتنا لإزالة هذا النقص فخلال مدة قصيرة سوف يصبح هذا النقص خطيرا ويوجب دمارا كبيرا، وذلك النقص هو التهاون في الصلاة جماعةً. صحيح أن الأحمديين يواجهون المشكلة في أداء الصلاة جماعةً وهي أنهم لا يستطيعون الصلاة خلف غير الأحمديين، وفي بعض الأماكن يقيم أحمدى وحيد فقط، فلا تسنح له الصلاة جماعة، فلما كانت الصلاة جماعةً تتطلب التمسك بالموعد، فحين لا يجد المرء الصلاة جماعةً يميل إلى التهاون والكسل، فهو يفكر: بما أنني لا أصلي جماعة فيمكن أن أصلي في أي وقت أريد، فبذلك لا يتمسك بالمواعيد، ويترك العادة بأداء الصلاة في أول وقتها، أو يعتاد على الجمع بين الصلاتين، ويتغافل عن الصلاة جماعةً نهائيًا. بحيث إذا سنحت له فرصة أداء الصلاة جماعةً في موضع ما فيهملها. صحيح أنه اعتاد على ذلك مضطراً، لكن يجب ألا يتهاون الأحمديون في ذلك أبداً، فحيثما يبدأ هذا التهاون يبدأ هلاك الجماعة معه (نعوذ بالله من ذلك). فالقرية التي يقيم فيها أحمدى واحد فليسع ليكون له ثانٍ، فأنا آمل أنه إذا فعل ذلك فسوف يهين الله له صاحباً حتماً. أما إذا لم يجد الثاني فليذهب بعد يومين أو ثلاثة إلى قرية مجاورة يقيم فيها أحمدى آخر مرة ليصلي جماعةً، فلا تتكاسلوا، فإذا نسيتم هذا فاعلموا أنكم لن تتمكنوا من الازدهار والتقدم أبداً.

الأحمديون المقيمون في المدن الكبيرة الذين يصعب عليهم الذهاب إلى بيوت بعضهم ويتعذر عليهم الاجتماع عند كل صلاة في مكان معين، فعلى الأحمديين في كل حارة أن يجتمعوا - في مكان ما - ليصلوا جماعةً، وأحياناً

بركات الخِلافة

ينبغي أن يجتمع أحمديو المدينة كلهم في مكان ما فيصلوا جماعة. فيجب ألا يكون تهاون في ذلك أبداً، فهو أمر خطير جدا يؤدي إلى نتائج وخيمة جدا أيضاً، فقد علمت من القرآن الكريم حصراً أن الذي تسنت له الصلاة جماعة ولم يصل فلا صلاة له. فهذا هو مذهب ابن عباس أيضاً.

لقد كان النبي ﷺ حذراً جداً و متمسكاً بالصلاة جماعة لدرجة لا يوصف بياها؛ فيروى أن رجلاً أعمى - كان بيته بعيداً عن المسجد ويعاني كثيراً في الوصول إلى المسجد من أجل الصلاة - أتى النبي ﷺ. فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَتَوَدُّنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخِّصَ لَهُ. فَلَمَّا وُلِيَ دَعَاهُ فَقَالَ: هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ.¹

بل قد ركز النبي ﷺ على الصلاة جماعةً لدرجة أن قال عمن يتخلفون عن صلاتي الفجر والعشاء في المسجد: هممتُ أن أمر رجلاً يؤم الناس، ثم أخذ معي رجلاً يحملون الحطب على رؤوسهم، وأتجول في المدينة لأعرف رجلاً لا يحضرون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم.

فلاحظوا كيف يقول الإنسان الشفيق العطوف الرحيم الرؤوف ﷺ إن الذين لا يحضرون صلاة الجماعة أود أن أشعل النار في بيوتهم وهم فيها، فهذا الحديث يسلط الضوء الكافي على أهمية الصلاة جماعةً.

¹ مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة. (المترجم)

فقد ذكر الفجر والعشاء خصيصا لأن موعهما صعب؛ ففي العشاء يتكاسل بعض الناس بسبب غلبة النعاس عليهم، وعند الفجر يصعب الاستيقاظ من النوم، فإذا كان ﷺ قد أبدى هذا الاهتمام الكبير لهاتين الصلاتين فيمكن تقدير أهمية الصلوات الأخرى جماعة، فالحق أن الجماعة لا تستقيم بدون الصلاة جماعة، فإن لم تجدوا أحدا للصلاة جماعة فعليكم أن تقيموا خلفكم أولادكم وزوجتكم في البيت فصلوا جماعة. فبذلك ستعتادون على الصلاة جماعة على أقل تقدير، وبعد ذلك سيعطيكم الله تعالى جماعة أيضا بفضله، وفقكم الله لذلك.

الزكاة

ثم هناك مسألة مهمة جدا هي الزكاة، لكن الناس لم يفهموها، فقد أمر الله بها بعد الصلاة، كما قال سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ إنه سيعامل مانعي الزكاة معاملة النبي ﷺ مع الكفار، حيث يستعبد رجالهم ويسبي نساءهم؟ بعد وفاة النبي ﷺ ظهر ابتلاء عظيم إذ ارتد العرب كلهم ما عدا مدن ثلاثة؛ هي مكة والمدينة ومدينة أخرى. فاقترح عمر ﷺ على أبي بكر ﷺ أن يرجئ الجيش المراد إرساله إلى الشام، لأن الفتن منتشرة في البلد كله، لكن أبا بكر الصديق ﷺ أجابه أن الجيش الذي أمر النبي ﷺ بإرساله لا أستطيع أن أؤخره. ثم قال له عمر ﷺ أن يتصالح مع مانعي الزكاة، إذ من المأمول أن ينصلحوا لاحقا تدريجيا، والأفضل أن يحارب

المرتدين الآخرين أولاً، فالأولوية للقضاء على المرتدين والمتبئين الكذبة، لأن فتنهم أشد، فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً -أو عقالا- كانوا يؤدونها لرسول الله من الزكاة لقاتلتهم عليه، وإذا تركتموني وانضمت سباع الغابة إلى المرتدين للهجوم فسوف أقاتلهم وحدي.

باختصار؛ قد أولى سيدنا أبو بكر الصديق مسألة الزكاة أهمية قصوى لدرجة أن أعلن أنه سيعامل مانعي الزكاة معاملة الكفار، لكن اليوم عدد قليل جدا من المسلمين يهتمون بهذا، فقد قدرتُ أن جميع الأحمديين لو دفعوا الزكاة لبلغ مبلغ الزكاة فقط مئة ألف روية تقريبا، لأن شيئا من الذهب موجود عند الناس، إلا أن المقتنيات التي تأخذ الحكومة الضريبة عليها فقد أفتى المسيح الموعود عليه السلام أنه لما كانت الحكومة تأخذ الضريبة عليها فلا زكاة ولا عُشر عليها. أما أنا فأرى أن الضريبة التي تأخذها الحكومة على الأراضي الزراعية هي أقل من العُشر الشرعي، لذا أرى أنه يجب على من تجب عليه الضريبة أن يدفع بقية المبلغ. فمثلا إذا كانت الحكومة تأخذ خمس رويات على قطعة أرض معينة وكان مبلغ العُشر عليها عشر رويات فعلى صاحبها أن يدفع البقية -أي خمس رويات- للجماعة. ولهذا النظام يجب على سكرتير "أنجمن أحمدية" في كل قرية ومدينة أن يخصّ سجلا يسجل فيه الذهب والأشياء الأخرى التي تجب عليها الزكاة، وتؤخذ الزكاة بشكل منظم. فقد قال المسيح الموعود عليه السلام إنه ليست هناك زكاة مفروضة على الذهب الذي يُلبس، لكنه إذا قدّم أحد زكاته فذلك أفضل. أما الحلّي من الذهب التي لا تلبس فلا بد

من دفع الزكاة عليها، لقد أوصيتُ بتأليف كتيب مفصل عن الزكاة تُسَجَّل فيه القواعد والتوجيهات عن الزكاة، وينبغي العمل بحسبها.

فوائد الزكاة

إن الأمر بالزكاة عديم النظر وهو من محاسن الإسلام التي لا حصر لها، فبواسطتها يمكن إقامة الحجة على جماعات كثيرة بأن الإسلام أفضل. ففي أوروبا مثلاً فريقان في هذه الأيام، أحدهما يقول: حيثما يكسب أحد من المال الكثير فدعوه يكسب ويأخذ ثمرة جهوده. والفريق الثاني يقول: إن جميع المواطنين يعملون، ونتيجة أعمالهم تحدث الثروة، لذا ينبغي أن نأخذ أموالاً من الأثرياء الكبار ونوزعها على الفقراء لكي لا يموتوا جوعاً، ولا يحدث خلل في نظام البلد. لكن الله ﷻ فند فكرة كليهما وبينَ أمرنا صحيحاً؛ إذ قد اتخذ الإسلام أمراً صائباً تاركاً الإفراط والتفريط. أنا موقن بأنه لو شرحت لأوروبا مسألة الزكاة فقط لن يقدر أحد على إنكار صدقتها وروعتها. بعض الناس يحسبون الزكاة غرامة، لكن الزكاة ليست غرامة، ولشرح هذا الموضوع أبين لكم أمراً بسيطاً. معلوم أن الحكومة تأخذ الضرائب من الشعب، ومن الضرائب تعدّ الجيش والشرطة لحماية المواطنين، كما تستفيد منها في شق وتعبيد الشوارع وإنشاء المستشفيات والمرافق المتنوعة الأخرى. فلما كانت الحكومة تأخذ الضرائب لراحة المواطنين أنفسهم فلا أحد يحسب هذه الضرائب غرامة، ومثل ذلك ليست الزكاة أيضاً غرامة وإنما تؤخذ لمصلحة المواطنين أنفسهم. فكما أن الحكومة تأخذ

الضرائب لمصلحة المواطنين فقد حدد الله أيضا الزكاة، ووعد مقابل ذلك أن هذه الأموال سُنْبَارِك، وتحفظ من كل أنواع الخسارة والبوار، كما قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣) أي خذ من أموالهم الصدقات وبذلك طهّرهم من النقائص المادية والروحانية، وادّع لهم؛ لأن دعائك راحة وسكينة لهم. باختصار؛ إن الزكاة ضريبة من الله قد وعد مقابلها بالرحمة والطهارة الظاهرية والباطنية، لكن منذ ترك المسلمون دفع الزكاة تقل أموالهم باستمرار، فكانوا في زمن مضى ملوك العالم، أما اليوم فيواجهون النذل والهوان. أما الذين يدفعون الزكاة فقد وعدهم الله بالفوز والطهارة مثلما تعد الحكومة بالحماية بأخذ الضرائب. لكن الأسف أن الناس يصدقون وعد الحكومة ويقدمون الضرائب بكل سرور ولا يعدّون وعْد الله صادقا، ويمتنعون عن دفع الزكاة. فبالزكاة ينجو الإنسان من أحزان وآلام كثيرة، لأن وعد الله لا يُخلف أبدا.

لطيفة تصوفية

من فوائد الزكاة فائدة عظيمة يمكن أن يستفيد منها أصحاب الذوق الصوفي؛ وهي أن الإنسان حين يكسب المال، فمهما كان حذرا ومحتاطا ألا يختلط بماله مالٌ حرام، إلا أنه من المحتمل جدا أن يختلط شيء من مال حرام بأمواله خطأ، فمثلا هناك تاجر القماش، فهو يبيع القماش دون أن يعرف أن القماش مثقوب وهو عديم الفائدة، فهو يبيعه للمشتري ويستلم الثمن،

وصحيح أن ذلك حصل خطأ منه ودون علمه لكن المال الذي استلمه ثمننا له، لا يجوز له وليس له حقُّ فيه؛ فهو ليس ملكاً له في الحقيقة، وعندما يأكله لا تحدث أي بركة في طعامه وجسده. أما إذا كان يُخرج الزكاة بعد سنة بأمر من الله فسيظهر ماله بانتظام، وإذا كان من ماله جزء غير طيب فلن ينفقه على نفسه، بل سيعود إلى المالك الحقيقي، أي الله، ويبقى ماله طيباً، وبأكل المال الحلال واستعماله ستحدث بركةٌ في كل شيء له.

سوانح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام

هناك أمر آخر يتطلب الاهتمام من جماعتنا وهو تسجيل أحداث حياة المسيح الموعود عليه السلام. ففي زمننا كل الأدوات لهذا العمل مهياةً مثل القلم والدواة والحبر والورق والمطبعة وغيرها، وإذا لم ننجز هذه المهمة فكم يكون ذلك مؤسفاً؟ بأي نظرة ستنظر إلينا الأجيال القادمة؟ فليس بوسعهم الاطلاع على سيرة المسيح الموعود عليه السلام ما لم تتوفر لهم وسيلة لذلك. فقبل بضعة أيام جاء إلى هنا مسيحيان وتكلما معي، ثم سألا أحداً من الناس: هل كان الميرزا المحترم أيضاً مثله؟ فأجابهم جواباً رائعاً حيث قال لماذا تسألانني؟ ينبغي أن تتوجها إليه وتسالاه ماذا يقول، فهو يعدّ نفسه خادماً للمسيح الموعود عليه السلام، فبذلك يمكن أن تقدراً كيف كان حضرته عليه السلام. فمن عظيم واجباتنا أن نحفظ ونسجل أحداث حياة المسيح الموعود عليه السلام وسيرته للقادمين، فلاسوة النبي صلى الله عليه وسلم الحسنة ولأسوة (لحبه المخلص) حضرة المسيح

الموعود عليه السلام الحسنة أهمية قصوى في قلوبنا. لذا فإن تدوين سيرة المسيح الموعود عليه السلام ضروري جدا، فأنت منكم يتذكر أي حادث يتعلق بحضرته عليه السلام فليرسله إلي خطيا، فهذه مهمة جليلة قد عهدت إلينا وعلينا أن ننجزها، ولقد عيّنت شخصا لاستكشاف هذه الأحداث من الناس وتسجيلها، وأنتم أيضا إذا كان أحدكم يتذكر أي حادث فليكتبه لي، لكي تُجمع الأحداث كلها ونشرها في صورة كتاب لكي تكون محفوظة للأبد. اليوم يوجد الكثيرون ممن جالسوا حضرة المسيح الموعود عليه السلام وكسبوا الفيوض من صحبته، ومنهم يمكن أن نحصل على أحداث كثيرة، لكن حين يقل عددهم سيصعب العثور على أحداث حياة حضرته عليه السلام، لذا يجب إنجاز هذه المهمة بسرعة قدر الإمكان.

الحكم في النزاعات والخصومات

هناك أمر مهم آخر أود أن ألفت أنظاركم إليه وهو أنه إذا حصل بينكم أي اختلاف أو نزاع فعلى أفراد الجماعة ألا يسعوا للحكم فيه شخصا، بل - إذ توحدتم وانتظمتهم في سلك واحد- يجب عليكم إذا حصل أي نزاع بينكم أن تكتبوه إلي وتحاكموا إلي وترسلوا الخصومات بينكم والشجارات، فسوف نبحت فيها وندرسها ونصدر الحكم بتوفيق من الله تعالى.

المدارس الابتدائية

هناك أمر آخر أود أن ألفت انتباهكم إليه هو أنني قد اقترحت لتقدم الجماعة العلمي أن نفتح مدارس ابتدائية في كل مكان، فقد بدأت العمل

بذلك، وإلى الآن قد فتحت قرابة عشر مدارس، فعلى جميع "أنجمنات أحمدية" في كل مكان أن تسعى لفتح مدرسة في منطقتها، حتى إذا كانت هناك مدرسة موجودة سلفاً فثمة حاجة لفتح مدرسة أحمدية، لأن القرآن الكريم لا يُعَلَّم في المدارس الأخرى. لذا يجب أن نفتح مدرستنا، فاسعوا جاهدين لفتح المدارس، لذا قد شكّلت لجنة تابعة لـ "أنجمن ترقّي الإسلام" تعمل على فتح المدارس، فبمراستها يمكن إنجاز هذه الأعمال كلها.

الحاجة إلى الدعاة

من حاجات جماعتنا الحاجة إلى الدعاة أيضاً، وخاصة أن هناك حاجة ماسة لأن يكون الدعاة في كبار المدن، كل ما نملكه هو القرآن الكريم، وأي شيء يمكن أن يفوقه؟! فأنوي أن نبدأ دروس القرآن الكريم في شتى المدن الكبيرة، وأن يعيّن في كل محافظة داعية واحد على أقل تقدير، لكن الذين يحققون هذه المهمة قليلون في جماعتنا، ولعلكم تعرفون أننا شكّلنا جماعة الدعاة، وشابان منها قد ألقوا الوعظ هنا بالأمس، لا أعرف بماذا تكلموا لكنني أريد أن يتهيأ لنا عاجلاً بضعة أشخاص يمكن أن نعيّنهم في الأماكن المهمة، فقد أعددت مقرراً دراسياً ستعدّ الجماعة عشرة أشخاص يتمكنون بقراءته من إلقاء دروس القرآن الكريم خلال سنة، ومن المأمول أن يتأهل هؤلاء الشباب لإنجاز العمل عاجلاً، وأتوقع أننا نستطيع أن نخصص داعية واحدا لعشرة أنجمنات، إن شاء الله، حتى ديسمبر/ كانون الأول القادم.

قراءة ترجمة القرآن الكريم

عندي رغبة عارمة أن يتعلم جميع أفراد الجماعة ذكوراً وإناًاً ترجمة القرآن الكريم؛ أي لا يكونون قادرين على قراءة نص القرآن الكريم فحسب، بل يكونون عارفين بمعانيه؛ لأنه إذا كان المرء لا يعرف ترجمة القرآن الكريم، فما الذي يتمتع به بقراءة كلمات القرآن الكريم مرارا وتكرارا؟! لذا يجب أن يعرف الناس ترجمة القرآن الكريم، وهذا يتطلب أن تتوفر ترجمة القرآن الكريم باللغة الأردنية، وينبغي أن تكون منزهة من جميع الأخطاء التي توجد في التراجم إلى الآن.

وثانيا إن آيات القرآن الكريم التي أسيء فهمها يجب أن تُكتب عنها ملاحظات تزيل سوء الفهم ذلك، فتتحقق فضيلة الإسلام على سائر الأديان الأخرى، ويُرد على الاعتراضات التي تثار ضد القرآن الكريم وتُحلُّ الإشكالات. يجب أن يكون القرآن الكريم عند كل الأحمدين، رجالا ونساء وشبابا، لقد بدأ العمل على هذه الترجمة، بل قد انتهى العمل على الجزء الأول والملاحظات، وإن شاء الله سُنشر خلال شهر. وأود أن أنشره على أجزاء؛ حيث يكون كل جزء على حدة، لكي تصل الترجمة إلى الناس تباعا. يقول الله ﷻ بأنه أنزل القرآن الكريم تدريجيا وبيطء لكي يحفظه الناس، ومثل ذلك سننشر الترجمة أيضا لكي يقرأها الناس ويحفظوها، فقد وصلت بعض النسخ، كما تمت ترجمة الجزء الثاني أيضا إلى حدّ ما، وتنشرها "أنجمن ترقّي إسلام" ويجب على كل واحد أن يشتري نسخة خاصة له، ونسخة أخرى لزوجته، وكذلك نسخة لأولاده.

المدرسة بالمراسلة

لتقدم الجماعة العلمي ينبغي أن تفتح مدرسة بالمراسلة، لأن هناك أناسا لا يقدرّون على أن يأتوا إلى هنا في قاديان لتعلّم القرآن الكريم، فلأمثال هؤلاء يجب أن تعدّ بعض الدروس وترسل إليهم تدريجيا، وحين يحفظون تلك الدروس ترسل إليهم دروس أخرى، وينبغي أن يطلبوا بالمراسلة حل المشاكل التي يتعرضون لها. وبذلك سيحرزون معرفة ما جالسين في بيوتهم.

امتحان كتب المسيح الموعود عليه السلام

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مولعا جدا بأن يُعدّ منهاج لكتبه يقرأه الناس، وفي مناسبة الجلسة السنوية يحدّد يوم يتقدمون فيه للامتحان في ذلك، وأحب ألا تخيب أمنيته هذه أيضا، وينبغي بدء العمل بها، ونبدأ الامتحان في السنة القادمة، وينبغي أن يُحفظ هذا العام كتاب "إزالة الأوهام" بجزأيه المتعلق بغير الأحمديين، وكتاب "الكحل لعيون الآرية" المتعلق بالآريين، فليشترك في هذا من يريد من الإخوة، وليحضّر في الجلسة القادمة من أبقاهم الله أحياءً إلى ذلك الموعد. ومن وفّقهم الله للامتحان بهذين الكتابين فيلتقدموا له، لكي نُطلعهم على الأخطاء.

حل المسائل المختلف فيها

أنوي أن أحل المسائل المختلف فيها في الجماعة، وأسعى لتعيين بعض الأشخاص للقيام بهذا العمل، لكي يكتبوا معتقدات الأحمديين من كتب المسيح الموعود عليه السلام لئلا يبقى أي نزاع في المستقبل، فكم من الغريب أن

يظهر في الجماعة اليوم وبعد ثلاثين عاما نزاعٌ كَوْنِ المسيح الموعود عليه السلام نبيا من عدمه! فإنما سبب هذا النزاع أن الذين أثاروه لم يقرأوا كتب المسيح الموعود عليه السلام، وعندما قرأوا فإنما قرأوا واضعين في البال أن حضرته لم يكن نبيا، فكما أن المسيحيين يقرأون القرآن الكريم كله ولا يجدون أي أمر حسن فيه، كذلك قد حدث معهم، الآن أود أن أعين بعض الأشخاص، لكي يكتبوا كتيباً شاملاً حول هذا الموضوع.

حاجات الجماعة

هناك شيء عظيم من زمن المسيح الموعود عليه السلام هو منارة المسيح، فقد قال حضرته عليه السلام عنها: عندما تكتمل ستترل بركات الله الكثيرة. أنا لم أطلب التبرعات لهذا العمل، وإنما قلت عندما نبدأ أعمال البناء ستطلب المنارة بنفسها جمع التبرعات؛ أي أن الناس عندما ينظرون إليها، سوف يتبرعون لها تلقائياً، إن الجماعة في قاديان قد جمعت قرابة ٥٠٠ روبية لهذا الغرض. أنا لم أعلن أي طلب وإنما جمعوا التبرعات بأنفسهم وعن طيب خاطر، والنفقات عليها تقدّر بألفي روبية، وعليكم أن تهتموا بتوفير الـ ١٥٠٠ روبية المتبقية.

بالإضافة إلى ذلك إن الأعمال التي تجري هنا لن يتبرع لها غيركم، فقد تخلينا عن الأغيار، وبعض الذين كانوا منا قد فارقونا تاركين، لذا عليكم أن تعتنوا أنتم بإنجاز هذه المهمات، فـ"صدر أنجمن" تدير أعمالاً مختلفة؛ فهناك مدرسة أحمدية، وثانوية واحدة يدرس فيهما أولادكم أنتم، كما أن هناك دار

الضيافة حيث يقدم الطعام للضيوف، وبالإضافة إليها هناك أعمال أخرى كثيرة. إن نفقات نشر الدعوة لازدهار الإسلام تقدر للسنة القادمة بـ ٢٤٠٠٠ روبية، وتفصيل ذلك أننا نترجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية لأهل بريطانيا، وقد بدأ نشر الترجمة، وقد وصلت إلينا تجارب طباعية مختلفة لترجمة سورة الفاتحة، كما قد تمت ترجمة الجزء الأول أيضا، ونحتاج مبلغا لنشره. ثم في بريطانيا بدأنا التبليغ أيضا، وفي سبيل ذلك نحتاج إلى ٦٠٠ روبية شهريا لأنني أنوي إرسال شخص آخر أيضا إلى هناك، حيث تُنشر النشرات والكتيبات باللغة الإنجليزية. ثم هناك جزيرة موريشيوس قرب أفريقيا حيث تستعد عدد من العائلات الإنجليزية لاعتناق الإسلام، وسنرسل داعية إلى هناك أيضا، وتجري المراسلة بخصوص ذلك.

ثم هناك سلسلة الكتيبات. لقد نشرنا كتيبا في البنغال قبل عدة أشهر، وإلى الآن نتلقى الرسائل عنه، ثم إن "صدر أنجمن أحمدية" مدينة، وعلينا أن نسد ديونها، وهي في المستقبل أيضا بحاجة إلى المال، فكل هذه احتياجات الجماعة ويجب عليكم أن تسدوها. وآمل ألا تتقاعسوا في بذل المساعي بحسب سعنتكم، والآن أقرأ عليكم ما ورد في القرآن الكريم عن خدمة الدين. يقول الله تعالى: أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حَذَارُ أَنْ تَتَهَاوَنُوا فِي مَهْمَاتِكُمْ، وَلَا يَخْطُرُنَ بِبَالِكُمُ الْمَشَاكِلَ الَّتِي تَعْتَرِضُ سَبِيلَ إِنْجَازِ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء: ١٠٥)، فتذكروا أنتم هذا المبدأ جيدا.

لا شك أنكم تتألمون من التبرعات التي تطلب كل يوم، لكن تذكروا أن أعداء الإسلام أيضا يضحون بأرواحهم وأمواهم من أجل القضاء على الإسلام، فأنتم وهم سيان في المعاناة وتحمل المشاكل، إلا أن الإنعامات التي تأملونها هم لا يأملونها. فكم سيكون من المؤسف إذا تهاونتم وتعبتم رغم هذه الآمال، ولا يترك العدو جهوده رغم كل أنواع اليأس، بل يواصل أعماله، ويتكبد كل نوع من الألم لنشر الكذب. إن باب إنعامات الله ﷻ مفتوح لكم فاكسبوها قدر ما تستطيعون، الآن هناك حاجة للمبلغ، لكن الله ﷻ يسيّر أعماله بنفسه وهو غني عن كل عون، إلا أنه قد هياأ لجماعتنا فرصة للخدمة، وهذا فضل منه. وإلا فإن أعماله لن تنقطع، إذ رغم انشقاق البعض أيضا تجري الأعمال، لكن الذي يسهم في إنجاز مهمات الله يعدّ من أنصار الله، فانشغلوا في العمل دوما جهد المستطيع وقدر ما في وسعكم.

لقد تبرعت الجماعة في غورداسبور بما يقدر بستة آلاف أو سبعة في السنة الماضية، وأتوقع أنهم سيقدمون ألفي روية أو ثلاثة آلاف روية إضافية هذا العام أيضا إلى جانب التبرعات الشهرية، إن شاء الله تعالى. ولبقية المبلغ اسعوا أنتم.

وفكم الله ﷻ لإنجاز هذا العمل الذي من أجله قد أسست الجماعة الإسلامية

الأحمدية. آمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

الخطاب الثاني لسيدنا فضل عمر رضي الله عنه

(الذي ألقاه في ٢٨/١٢/١٩١٤ بمناسبة الجلسة السنوية)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم.
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

لقد قلت لكم بالأمس إني سوف أتكلم غدا عن موضوع مهم جدا لا
يسعني بيان أهميته ولا أقدر على ذلك.

سأتحدث الآن قليلا عن الغاية الوحيدة لكل إنسان وعن الوسيلة الوحيدة
لتقدم أي جماعة أو فرقة أو شعب، وعن الإثبات الوحيد لتسمية الإنسان
إنسانا، إذا وفقني الله لذلك. لقد حالفتي فضل الله أمس فتمكنت بفضل من
إلقاء الخطاب الذي دام ثلاث ساعات ونصف دون أن أتألم، إلا أنه بسبب
ذلك أعاني اليوم نوعا ما، لذا لن أتمكن من بيان وافٍ للموضوع، وسوف
أتناول هذا الموضوع في المستقبل إذا وفقني الله لذلك.

وقد تنشأ شبهة في قلب أحد: ما هو الأمر المهم جدا لهذه الدرجة حتى تم التركيز الشديد عليه لدرجة أنه لا تقدر أي جماعة على التقدم دونه، وبدونه لا يمكن للإنسان أن يسمى إنسانا، ولا تتحقق بدونه الغاية من خلق الإنسان؟ ثم إذا كان هناك أمر قد بلغ هذا القدر من الأهمية، فكيف يمكن ألا يكون المسيح الموعود عليه السلام قد تناوله ولا الخليفة الأول أيضا؟ فأقول لكل من يفكر في ذلك إن عظمة أي أمر لا تقل نتيجة الاستماع إليه مرارا وتكرارا، فليس عندي أي أمر لا يعرفه العالم من قبل. فالأمر نفسه قد سمعتموه مرارا قبل بياني أيضا، لكنه ما لم ينفذ أي أمر تنفيذا كاملا ولم يتحقق جيدا لا تنفذ الحاجة إلى بيانه. فلاحظوا أن الـ "كيننا" يفيد الحمى ويتناوله مئات المرضى يوميا، إلا أنه ما دامت الحمى موجودة في العالم فلا نستغي عن الكينا، وكذلك الماء مهم جدا لكل حيٍّ، فلو سأل أحد عن الأمور المهمة جدا للحياة فسوف يُذكر له الماء أيضا، فلو قال عند سماع اسم الماء: إننا نشربه كل يوم، فكيف هو مهم! فسيكون قوله هذا باطلا. لأنه ما دامت الحياة تتوقف على الماء فهو يعدّ مهماً جدا، فلا تنشأ أي شبهة في أهميته على شرب الإنسان له عدة مرات يوميا، وكما أننا لا ندفع أي ثمن للهواء إذ يدخل في جسمنا بالتنفس تلقائيا، وهذا من نظام الطبيعة، فذلك لا ينتقص من أهميته؛ فهو اليوم أيضا مفيد ومهم كما كان في الماضي. وصحيح أنكم قد سمعتم مرارا ما سأقوله اليوم لكم، إلا أننا سنستمر في بيانه والحديث عنه ما لم يترسخ في العالم ولم يعمل به الناس كلهم، وسيبقى على عظمته نفسها.

الآن آيين لكم ذلك الأمر، فليكتبه أحدكم لكي يحفظه ويستفيد منه من لم يحضر اليوم هنا، لكنني أؤكد مرة أخرى على عدم الاستخفاف به، فهو أمر عظيم جدا، وكثيرون يهلكون لأنهم لا يعيرون أهمية للأمور الضرورية، وبذلك يُهلكون أنفسهم، لكن اللبيب من يفكر في كل أمر ويتأمل في نتيجة كل أمر مهما بدا له عاديا وبسيطا، وينظر إلى أصله. وليان أهميته أقدم لكم مثالا.

يقال إن شخصا قال لأبناء إخوته، سأقدم لكم غدا حلوى "لُدُو" أعدّه مئات الألوّف من الناس، فاستغربوا جدا من سماع هذا القول، وفكروا أن ذلك اللدُو الذي أعدّه مئات الألوّف من الناس سيكون ضخما جدا، وفي اليوم التالي عندما جلسوا على المائدة تناول كل واحد منهم لقمتين أو ثلاث لُقَم فحسب ثم أمسكوا عن الطعام حتى لا يشبعوا من أطعمة مختلفة، وبالتالي لا يتمتعوا بذلك اللدو جيدا. فلما فرغوا من الطعام قالوا له: يا عمي، قد وعدتنا بإطعامنا لدُو قد أعدّه مئات الألوّف من الناس، فأبجز الآن وعدك. فقال لهم أنا أتذكر الوعد، وجاءهم بلدُو عادي يباع في السوق، فاستياسوا منه كثيرا وقالوا له: لقد وعدتنا بأنك ستُحضر لدُو قد أعدّه مئات الألوّف من الناس، والآن قدمت لنا لدُو عاديا جدا، فما الأمر؟ فقال لهم العمُّ: خذوا القلم واستملوا مني كم شخصا ساهم في إعداده، وسأثبت لكم أن مئات الألوّف من الناس أعدّوه، ثم قال لهم: انظروا؛ قد صنعه الحلواني، وقد اشترى مكوناته من أشخاص عدة، ثم كل واحد من تلك المكونات قد أعدّه الألوّف من الناس، فخذوا السكر مثلا، وفكروا كم من الناس ساهموا في إعداده؟

فبعضهم عصروا القصب وبعضهم أحضروا القصب من الحقل إلى المعصرة ثم عمل الكثيرون في الحقل حتى يجهز قصبُ السكر، فبعضهم حرثوا الأرض وبعضهم سقّوها، ثم إن الذين حرثوا الأرض استخدموا المحراث الذي صنعه الكثيرون من حدادين ونجارين، ثم الذين استخراجوا الحديد من المناجم وجعلوه صالحا لاستخدامه لصناعة المحراث، كما أن هناك من قطع الخشب ونشره وأحضره إلى النجار ليصنع منه المحراث وما إلى ذلك. ولكم أن تقدروا كم من أناس شاركوا في هذا العمل. ثم بالإضافة إلى السكر يُستخدم فيه الطحين أيضا وقدّروا في إعداد الطحين أيضا بالتفصيل نفسه، فستجدون مئات الألوّف قد شاركوا في إعداد هذا اللدوّ. فسلموا بذلك.

مثل ذلك تذكّروا أنتم أيضا أن أهمية أي شيء لا تقدر بحجمه أو طوله، بل بفوائده وعاقبته، فالأمر الذي أتناوله الآن مهم جدا، فلا يستخفنّ به أحد، ولا يكونن يائسا على شاكلة هؤلاء الأولاد فورا، ولا يقولن إنه أمر عادي وبسيط جدا. بل هو عظيم حتى لو بدا له في بادي الرأي عاديا جدا، وإذا تعلمتموه وعملتم به فقد وعد الله ﷻ من يعمل به بأن يكرمه في الدين والدنيا، وإني واثق بهذا الوعد لدرجة أني أستطيع أن أقسم على أنكم إذا عملتم بهذا الأمر فسوف يتحقق الوعد بحقكم حتما.

وسيلة الفوز بالقرب الإلهي

يسأل الناس ما هي الوسيلة للفوز بالقرب الإلهي؟ فتذكروا أنكم إذا عملتم بهذا الأمر فسوف تفوزون بالقرب الإلهي في هذا العالم أيضا وليس في

العالم الآخر فقط، ولن يكلمكم الله بعد الموت فقط، بل سيكلّمكم في هذه الدنيا أيضا. لكن تدبروا كثيرا؛ أعلم أن هناك عادة سائدة وهي أن الناس حين يستمعون إلى محاضرة رائعة، يقولون: قد تمتّعنا كثيرا وكان الخطاب رائعا، لكنهم لا يشعرون باللوعة التي تكون وراء كلام المحاضر، فينبغي أن تكون نتيجة سماع المحاضرة على هذا المنوال، إذ قد أزهد المحاضر نفسه في إعداد المحاضرة وإلقائها بينما أضعاف المستمعون في القول: قد تمتّعنا كثيرا. فلم تأتوا إلى هنا للتمتع فقط ولا للاستماع إلى خطاب فُكاهي، وإذا كان أحدكم قد جاء لهذا الغرض فسوف يُسأل عن تبذيره المبلغ الذي صرفه على السفر ذهابا وإيابا. فاستمعوا إلى كل محاضرة باهتمام وبآذان صاغية، ثم تذكروا ما سمعتم جيدا واعملوا به.

أسأل الله ﷻ أن يوفقني لأن يكون هذا الأمر آخر كلامي حتى لو كنت على فراش الموت، وأن يكون عليه مدار حياتي، فكل شيء في العالم مقابله عديم القيمة؛ فالنعم لا قيمة لها والأموال عديمة الجدوى والراحة والرفاهية لا حقيقة لها أيضا.

لقد ظهر في العصر الراهن عيبٌ كبير؛ وهو أن الناس يهدفون من سماع المحاضرات نيل المتعة فقط، لكنكم يا أعزائي، لم تأتوا إلى هنا ببذل الأموال بقصد التمتع والتفرج، بل كانت لحيثكم إلى هنا غايةً أخرى تماما، ونحن أيضا استهدفنا من دعوتكم إلى هنا أمرا آخر، ومن لم يدرك ذلك الغرض والغاية فلم يأت من أجلنا وإنما جاء لإرضاء نفسه فحسب. فالذي جاء

ليتمتع ويتفرج فقد ارتكب إثماً كبيراً، ومن كان يفكر في ذلك فليتبَّ
 وليستغفر. فالإنسان الذي يتوجه إلى مكان آخر تاركاً مدينته وأهل بيته من
 أجل التفرج فقط وإضاعة الوقت والمال فسوف يُسأل عند الله عن كل
 قرش أنفقه وعن كل لحظة صرفها، وفيما أضاع نعمة الله، فاسبروا
 صدوركم وأحدثوا التغيير فيكم، ولا تستمعوا إلى المحاضرات من أجل
 المتعة. فالمحاضرة تتضمن كل نوع من الأمور ومنها ما يمتّع ومنها ما يثير
 المزاح والفكاهة، ويجب ألا تهدفوا أبداً من سماع أي محاضرة أن تتضمن
 المحاضرة المزاح فقط لتتمتعوا بها. فلا تنظروا هل الخطاب يُضحك أو يُبكي،
 وإنما يجب أن تركزوا على ما يقوله المحاضر. إذا وجدتم أمراً مراً تدبروه،
 وإذا وجدتموه حلوّاً فاعملوا به، فلا تجلسوا في أي مجلس لسماع الفكاهة.
 وهناك عيب آخر يلاحظ في المستمعين إلى المحاضرة، وهو أن كل مستمع
 يقرر في نفسه أنه طيب ومطهّر، وأن الوعظ الذي يُلقى إنما هو موجّه إلى
 من حوله من الناس وليس إليه. وهذه الفكرة تؤدي إلى حرمان الجميع، ولا
 يفيد الوعظ أحداً منهم. فليعلم كل واحد منكم أنه أول مخاطب لوعظي،
 وليتأكد أن كل ما قيل إنما هو موجّه إليه حصراً. فإذا كان بين الحُضور
 وليٌّ فهو أيضاً مخاطبي، وإذا كان أحد من أسفل السافلين أيضاً فخطابي
 موجّه إليه هو الآخر. فالذين يفكرون أنهم ليسوا مخاطبين يبقون محرومين.
 فقد ورد عن أحد الملوك أنه أمر رجال حاشيته والخدام - لاختبار طاعتهم
 وسبر غور إخلاصهم - أن يفرغ كل واحد منهم إبريق ماء في بركة معينة

ليلاً، فحين ذهبوا إلى البيوت فكر كل واحد منهم كيف يحمل إبريق ماء ليفرغه في البركة، فالوزراء والأمراء الذين كان يصعب عليهم حمل المنديل كيف كان يمكن أن يحملوا إبريق الماء، فظن كل واحد منهم أنه إذا لم يفرغ إبريق ماء فلن يؤثر ذلك؛ إذ إن البركة لن تمتلئ من ماء إبريقه فقط، فإن ألوف الناس إذا أفرغوا ماء أباريقهم فلن يُعرف أنه لم يفرغ معهم. ففكر كل واحد منهم على هذا المنوال وجلس في بيته ولم يهرق إبريق ماء. فظلت البركة خالية كما كانت، ففي الصباح حين رأى الملك البركة لام رجال الحاشية قائلاً: أهكذا تكون الطاعة والاستجابة للأوامر؟! لكنهم بدلاً من الخجل والندم بدأ كل واحد منهم يلوم صاحبه على عدم إفراغ إبريقه. فهو لم يفعل ظناً منه بأن الآخرين كلهم سيفعلون، وإن لم يفرغ هو وحده فلا بأس: فأنت بكسلك وتهاونك قد عرّضتني أيضاً للوم والذل. وهكذا أراد كل واحد أن يلقي كسله على غيره. فلو فعل ذلك كل مستمع إلى المواعظ وقرر في قرارة نفسه أن الخطاب ليس موجهاً إليه، بل إلى الآخرين، فستكون النتيجة أن الجميع يبقون محرومين. أما إذا فكر كل واحد أنه هو المخاطب فقط وإنما عليه وحده تنفيذ هذه الأمور الواردة في الوعظ، فسوف ينتفع الجميع. ثم إذا كان أحد منهم لم يفهم أي شيء فسوف يستره الله بحسب "لا يشقى جليسه" لأنه بسبب صلاح الآخرين وورعهم يُستر الضعفاء أيضاً. فلو كان رجال الحاشية مثلاً في الحادث المذكور أفرغوا أباريقهم ولم يقدر بضعة منهم على ذلك لما عُرف ذلك.

فكل ما يقال موجّه إلى كل واحد صغيرا كان أو كبيرا، ولا يزعمنّ أحد أن المخاطب صاحبه، فعندئذ ترجى الفائدة.

الأمر العظيم الأكثر جمالا

الآن أخبركم عن الأمر العظيم الذي أدعوكم إليه، وعن النقطة التي أود أن ألفت انتباهكم إليها.

فاستمعوا، إنما هي كلمة واحدة وليست أكثر من كلمة واحدة فقط وهي "الله". وإليه أدعوكم جميعا ونفسي أيضا، وإليه وحده أدعو وللدعوة إليه أنفخ في الصور، فليأت من وفقه الله وليتقبل من هداه الله.

في العالم أشياء جميلة جدا وخلابة لكن أجمل شيء في العالم هو خلق الله، فالله ﷻ هو الذي رزقه جمالا وروعة، ولكن ما من أحد يمكن أن يبلغ جماله ﷻ، ومع أن الله ﷻ هو الأجل والأروع والأكثر خيرا وبركة، لكن أهل الدنيا الحقيرون ينظرون إليه باحتقار واستخفاف. هو رب العالمين، وأمام عظمتيه وهيبته كل شيء عديم القيمة، ومع ذلك فالمعاملة التي يعامله بها أهل الدنيا منفرة وتثير الاشتمزاز. كان الخليفة الأول ﷺ يذكر رؤيا أحد أساتذته، حيث رأى في الرؤيا في مدينة بھوبال أنه واقف عند جسر خارج المدينة، ووجد هناك مجذوما تأكل جسمه ديدان ويجمع عليه كثير من الذباب، وهو يعاني جدا، فسأته: من أنت؟ فقال: أنا الله ربكم. فقال له: لقد قرأنا مدحا كثيرا في القرآن الكريم أن الله بديع وجميل وليس كمثلته شيء، أما أنت فحالتك يرثى لها. فقال له: إن الملامح التي تراها لي ليست حقيقية وإنما هي صورتي في نظر أهل بھوبال.

فانظروا أنتم أيضا في قلوبكم وأعمالكم وأقوالكم وكلامكم وتصرفاتكم وحركاتكم وسكناتكم ما هي صورة الله ﷻ مقابل الأشياء المادية التي تنال إعجابكم. أهو إله بهوبال أو ما يشبهه؟ لكن تذكروا أن الله مقدس ومنزه من جميع القبائح والسيئات والمساوى.

قصة آدم ﷺ

مما يثير البكاء أن المسلمين حين يقرأون قصة آدم في القرآن الكريم يقولون لماذا استجاب للشيطان طمعا في ثمرة، مما أدى إلى خروجه من الجنة الخالدة، فلو كنا مكانه لما امتلنا للشيطان قط. فهم لا يفكرون أن الشيطان لم يُخرج من الجنة آدم فقط، بل قد أخرجنا نحن أيضا. هؤلاء المسلمون يستاءون في نفوسهم من انخداع آدم، ولا يشعرون أن الشيطان يخدعهم كل يوم، وهم يتأبطونه. هم يسعون لاكتشاف سبب انخداع آدم، ولا يعرفون أن الشيطان يجلس بجانبنا ويدفعنا إلى ارتكاب السيئات. كان يجب عليهم أن يُبدوا الأسف على أنفسهم بدلا من إبداء الأسف على آدم. فمتى كان بوسع آدم ﷻ أن يُخرج الناس من الجنة، فكل إنسان يخرج من الجنة بسبب أعماله الشخصية، فلا أحد أُخرج من الجنة بسبب آدم ﷻ. يقول النصارى: لقد ورثنا الخطيئة من آدم وبسببها قد أخرجنا من الجنة، بينما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٥)، فلما كان الله ﷻ قد خلق الإنسان في أحسن تقويم فكيف يمكن أن يُخرج من الجنة عقابا على ذنب أحد غيره. كل مولود حين يولد يكون بيته في الجنة، لكنه

بيده يهدم بيته في الجنة ويبني بيته في جهنم. فلا تظنوا أن آدم الذي كان الشيطان قد أخرجه كان شخصا آخر، كلا، بل أنتم الذين يلاحقكم الشيطان ويُخرج الكثيرين منكم من الجنة. فإذا كان أحد قد وقع في برائث الشيطان فهو والذي سلّم منه أيضا يجب أن يجذرا جدا كل حين وآن، وعندها تستفيدون. فلو كان الناس جالسين في مكان وجاء شخص وقال إن أحدهم سيُشنق، ثم إذا بقي كل واحد منهم في المكان نفسه ظنا منه بأن غيره سيُشنق فإن أحدهم سيُشنق حتما، أما إذا هرب الجميع فكلهم يتخلّصون، فمن يعرف من الذي كان سيُشنق.

تحذير

إنني أخبركم بكل صرامة وقوة أن الناس في العالم قد غفلوا عن الله ﷻ مع أنه ليس هناك أحد أجمل منه وأكثر منه حبا، فإذا أحببتم فأحبوا الله وإذا عشقتم فاعشقوه وحده، وإياه وحده خافوا، وإياه احشوا. فإذا فرتم برضاه فلن تبقى لكم حاجة إلى أحد سواه، ولا شيء يعرقل سبيلكم، فأذبيوا نفوسكم، وأحدثوا فيها تغييرا. فمن هو الله، وكم هو جميل! اقرأوا عن ذلك في سورة الفاتحة، فإذا تمكنتم من ملاحظة تجلّي جماله فهو سوف يغنيكم عن كل جمال. إن الإنسان حين ينظر إلى شيء جميل قد يُشغف به حُباً، لكن عليه أن يفكر في نفسه كم يمكن أن يكون جميلا من صنعه؟ فلرؤية تجلّي حسن الله لا حاجة للتوجه إلى مكان آخر، فالله يتجلّى في قلب كل إنسان، وإذا تدبّر هذا أمكنه الوصول إليه عاجلا جدا، فكل شيء في العالم وكل ذرة

تشهد على وجود الله، وليس هناك شيء لا يشهد صارخا على وجود خالق الكون وهذا العالم. فالقُرطاس والقلم والطاولة والكرسي والأرض التي تجلسون عليها والثياب التي تلبسونها، وأعضاء بدنكم من أيدي وأرجل وأنوف وآذان.. كل هذه الأشياء تشهد على وجود إله واحد ﷻ. فالإنسان عادةً يجب الملابس الفاخرة والمرأة الجميلة والطعام الشهى اللذيذ والمال والثروة، لكننا نقول: تأملوا قليلا فيمن خلق كل هذه الأشياء؛ فما أجمله! فلماذا إذن لا تحبونه؟! ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

هذه الآية عظيمة جدا، وفيها تعليم حليل جدا، فكان النبي ﷺ يقرأها ثلاث مرات قبل النوم وينفخ بها على بدنه، فيجب على كل مسلم أن يقتدي بسنته. فالأمر الأول الذي وُجِّه إليه الإنسان، هو الله لا إله إلا هو. أي أيها الإنسان، انظر إلى الله؛ فهو وحده إلهك، وليس أحد غيره. ومعلوم أن قيمة أي شيء في العالم تقدّر نظرا لقلته أو كثرته، فالماء مثلا شيء مهم جدا، لكن الناس لا يحفظونه لعلمهم أنه يتوفر عند حاجتهم إليه، ومثل ذلك الهواء، وهو الأكثر أهمية للحياة، لكن لا أحد يحتفظ به باهتمام، لأنه يعرف أن الهواء عند حاجة الجسم إليه يدخل تلقائيا في جسم الإنسان عن طريق الأنف والفم. لكن الماء نفسه الذي لا يقدره الإنسان عادة يصبح غاليا جدا في غابة

لا يتوفر فيها الماء. فإذا كان عند أحد كأس من الماء في مثل هذه الغابة فلا يرضى ببيعها مقابل الملايين من الروبيات. فتمن كل شيء ينقص ويزداد بحسب الحاجة إليه. فانظروا؛ عندما تكون الغلة كثيرة تكون رخيصة وعندما تقل تصبح غالية. ومثل ذلك لو كانت في العالم آلهة كثيرة لأمكن الإنسان أن يقول إنه إن لم يجد أحدها سيتوجه إلى غيره.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

إن الله وحيد فريد. فإذا قال أحدهم أنه إذا حُرِمَ من إله واحد فيمكن أن يبحث عن غيره، فلا يسعُه ذلك لأن الله ﷻ هو إله واحد، وليس هناك إلهان أو ثلاثة آلهة أو أربعة منهم أو ألوف وملايين. فإذا كان وحيدا فريدا فأين تذهبون تاركين إياه؟ فأنتم بحاجة إليه كل حين وأن. إن الناس في العالم يتحملون أحيانا سخط الملوك لأنهم يعرفون أنه إذا سخط عليهم ملك أحد البلاد فيمكنهم أن يهاجروا إلى بلد آخر، فإذا كان مثلا ملك الصين ظلما فلا ضير، إذ يمكن أن نلجأ إلى إيران، وإذا كان هو الآخر ظلما فيمكن اللجوء إلى إنجلترا. لكن الهارب من الله إلى أين يمكن أن يلجأ؟ فليست هناك أي أرض ليست ملكا لله، وليست هناك حكومة لا تخضع لسيطرة الله ﷻ. وليس هناك أي إله ثان حتى يستنجد به الإنسان. أما الهندوس فيعتقدون أن هناك آلهة كثيرة وهي تتشاجر فيما بينها أيضا، فقد ورد أن الإله "شِف" سخط على أحد فأماته، لكن القليل كان حبيب الإله "برهما" فأحياه، فأماته شف مرة أخرى وأحياه برهما من جديد. وهكذا استمر بينهما النزاع، فهذه هي أفكار الهندوس. أما نحن فليس

عندنا آلهة يميت أحدها ويجيي القتيلَ إله آخر، وأنه إذا سخط إله على المرء رضي به غيره من الآلهة. فانظروا: إن أحد الخدام يمكن أن يستقيل من عمله ويقول لسيدته لن أعمل عندك، وذلك لأنه سيجد عملا عند غيره، لكننا لا نستطيع أن نقول ذلك لله ﷻ لأنه رب وحيد لنا، وليس معه أحد آخر.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ

ثم هناك من الأرباب من يموت، أما ربنا فلا يأتيه الموت، فهو الحي فلن تنقطع العلاقة معه. ثم هو القيوم؛ إذ يمكن أن يقول أحد إن لي الآن ربًّا آخر، وقد كنت أعمل في الماضي عند فلان، فأنا مدين له أيضا ولا بد أن أكرمه. فالله ﷻ يقول: إني لم أصبح إلهكم وربكم اليوم، بل أنا ربكم منذ الأزل، وليست عليكم منة أيُّ إله غيري. فأنا الإله القائم منذ الأزل وأقيمكم أنتم أيضا، فأنتم مدينون لي وحدي.

للقيوم معنيان، (١) القائم بذاته منذ الأزل (٢) الذي يقيم الجميع.

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ

ويمكن أن يقول أحدٌ: آمنا بأن الله وحيد ولا إله إلا هو، وهو الحي وهو الذي كان مولانا وربنا في الماضي وهو نفسه الآن ربنا، لكن من المحتمل أن يصيبه نوم فينام، وأثناء نومه يقوم عنه رجال بلاطه، لذا ينبغي أن نفرحهم أيضا ونمدحهم وتملقهم. لكن الله ﷻ يقول: إن إلهكم لا تصيبه سنة ولا نوم، فلا تحسبوه مثل الملوك والحكام الدنيويين حتى تضطروا لمدح رجال حاشيته. فربكم لا ينعس ولا ينام، فهو يقظ دوما ويراقب كل شيء بنفسه. وما أَلطف الأمر

الذي بيَّنه في قوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. إن ترتيب الكلام يقتضي أن تُذكر الأمور الصغيرة أولاً، ثم تذكر الكبيرة، ومن خالف هذا الترتيب فهو مخطئ وعمله يفسد. فمثلاً يقال إن مرض فلان لم يكن خطيراً، بل لم يكن مريضاً أصلاً. فلو قيل على عكس ذلك إن فلاناً لم يكن مرضه بسيطاً، بل لم يكن مرضه خطيراً أيضاً، فهذا القول خاطئ. بينما يقول الله ﷻ هنا لا تأخذه سنة ولا نوم مع أنه حين نُفيت السنة انتفى النوم تلقائياً، ولم تكن هناك حاجة لبيان أنه لا يأخذه نومٌ أيضاً، لكن كلام الله ﷻ لا لغو فيه؛ ففي ذلك حكمةٌ وهي أن السنة تعني أن الإنسان قد تغمض عيناه لشدة النعس، ومعروف أن الإنسان عند غلبة النوم ينعس، وعندما لا يشتد النوم لا ينعس، فقال تعالى إنه لا تأخذ الله سنةً بسبب التعب الناجم عن كثرة الأعمال، إذ لم يشتد عليه النوم حتى تغمض عيناه تلقائياً، ولا يأخذه نوم عادي.

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ

يقول الله ﷻ أخبروني الآن إذا كان ربكم مالِكاً لما في السماوات وما في الأرض، فكيف يمكن أن تجعلوا أحداً ربّاً لكم مقابله. ثم يقول الناس إنهم لا يعبدون أحداً غير الله لكنهم يقدمون النذور باسم غير الله ويطلبون منهم تحقيق الغايات لكونهم مقربين إلى الله، وأهم سيشفعون لهم عند الله. فالله يقول: لا أحد يستطيع أن يشفع دون إذن من الله. فأَي إنسان أكبر وأعظم من المسيح الموعود في هذا العصر، لكن حضرته أيضاً حين دعا لعبد الرحيم خان ابن نواب المحترم في مرضه الشديد، تلقى إلهاماً إنه لن يسلم. فخطر بباله

أن حضرة النواب قد هاجر إلى قاديان تاركاً كل شيء فإذا مات ابنه فقد يتعرض لابتلاء. فقال الله ﷻ: يا إلهي، أنا أشفع لصحة هذا الولد، فأوحى الله إليه "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟" أي من أنت حتى تشفع دون إذني؟ فانظروا كم كان المسيح الموعود عظيماً، إذ كان العالم كله ينتظره منذ ثلاثة عشر قرناً، لكنه حين شفع عند الله لأحد قال ﷻ له: مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَشْفَع لَدَيَّ دُونَ إِذْنِي؟ يقول حضرته ﷻ: عندما تلقيت هذا الإلهام سقطت على الأرض وأصابني رعشة، وكادت نفسي تزهق، لكن الله قال لي: اشفع إنك أنت المجاز. فشفع فشفي عبد الرحيم وما زال حياً يرزق بفضل الله ﷻ، كان ذلك فضلاً من الله.

والجدير بالملاحظة هنا أنه إذا كان الله ﷻ قد قال لإنسان عظيم مثل المسيح الموعود ﷻ "من أنت حتى تشفع دون إذن مني؟" فما مكانة هؤلاء الذين يدعون أنهم كبار وعظام حتى يشفعوا لأحد. نقرأ في الأحاديث أن النبي ﷺ سوف يؤذن له يوم القيامة فيشفع، فكم من الغباء أن يزعم أحد أن فلاناً سيشفع له.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَافَهُمْ

ثم يمكن أن يقول أحد: صحيح أن لا شفاعاة إلا بالإذن، لكنه كما يكون للملك رجال حاشية، وبواسطتهم يمكن الوصول إلى الملك، وينتفع بهم الناس، ومثل ذلك ينبغي أن يكون لله أيضاً رجال حاشية. لكن الله ﷻ يقول رداً على هذه الشبهة أن هؤلاء الحمقى لا يعرفون أن الملوك يعينون رجال

الحاشية والأنصار لكي يطلعوا بواسطتهم على ما يجري في البلد والأوضاع والظروف، لأن الملك شخصياً لا يعرف أوضاع البلاد. فكيف يمكن للملك المقيم في بريطانيا الاطلاع على الأوضاع في الهند. فللحصول على مثل هذه الأخبار قد عيّن نائبه في الهند، ثم هذا النائب لا يسعه الاطلاع على ما يجري في البلد كله، فعين له الحكام في الولايات؛ وعين له المفوضين على مستوى المحافظة، وهم بدورهم يعيّنون على مستوى أدنى وأدنى بعض المسؤولين على مستوى المديرية والمدن والقرى، وبذلك تصل أخبار البلد كله إلى الملك. فلو لم يكن هذا النظام وكل هؤلاء الرجال لما استطاع الملك شخصياً أن يطلع على جميع الأوضاع. يقول الله ﷻ إنه لا حاجة له لتعيين رجال حاشية، لأنه يعلم ما بين أيديكم وما خلفكم كله. إن القول "يعلم ما بين أيديكم وما خلفكم" له معنيان، (١) الله يعلم ما سوف يحدث في المستقبل، وما قد عملتم في الماضي. (٢) الله يعلم ما أنجزتم من الأعمال وما لم تنجزوا من الأعمال الحسنة التي كانت واجبة عليكم؛ فأى حاجة له إلى تعيين رجال حاشية؟

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

وَأَنْ لِأَحَدٍ أَنْ يُبْلَغَ عِلْمَهُ، إِذْ لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ بِجَهْدِهِ الشَّخْصِيِّ عَلَى اكْتِشَافِ حَقِيقَتِهِ ﷻ، إِلَّا أَنْ يُطَّلَعَ هُوَ ﷻ مِنْ أَرَادٍ، وَبِقَدْرِ مَا أَرَادَ.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وإن علمه يحيط بجميع السماوات والأرض.

وَلَا يَأْتِيهِمْ حِصْحَمًا

ثم يمكن أن يقول أحد: إن الله مستغن عن تعيين رجال الحاشية بسبب علمه الواسع والشامل. إلا أنه من المحتمل أن يعين بعض الأعوان والمساعدين لإنجاز المهمات، لأن ملوك العالم يعينون رجال الجيش والشرطة لحماية البلاد وإقامة الأمن في البلاد. لكنه ﷺ يقول: إنه مستغن حتى عن ذلك أيضا، فهو ينجز جميع الأعمال بنفسه، وإن قدرته شاملة لدرجة أن لا شيء خارج عن سيطرته، ولا يتعبه تسيير النظام وحمايته.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

الآن بقي اعتراض وحيد هو أنه صحيح أن الله ليس بحاجة إلى أنصار وأعوان للمعلومات والمساعدة، فلعله قد عين بعض رجال الحاشية لإظهار عظمته وهيبته، فدحض هذه الشبهة بقوله ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أي لا أحد يستطيع أن يزيد عظمة وعلوًا، بل كل من سيقترن به يزداد هو عظمةً وليس الله. الفكرة بأن الله ربما عين بعض رجال الحاشية لتعظيم شأنه أيضا باطلة، فهو غالب على كل شيء، فلا أحد يستطيع إنكار طاعته.

فهذا الإله إله حقيقي، وليس كمثلته أحد، فكم من المؤسف أن يتوجه الإنسان إلى غيره، فإذا وجد الإنسان طعاما لذيذا جدا ورغب عنه إلى نجاسة، ومثل ذلك إذا هبئ لأحد لباس فاخر وتركه ومال إلى إزار وسخ بال، فهل ستعدونه عاقلا؟ كلا! بل العاقل من اختار الأفضل، فلا أحد أفضل من الله ﷺ. فأنا ألفت انتباهكم إلى أن الله ﷺ وحده يجب أن يكون

نصب أعينكم كل حين وآن، لأن كل شيء في العالم عديم القيمة مقابلته، ولا شيء ينافسه. فانظروا كيف ينير القمر ويبدو جميلاً، لكن هل يمكن أن يزعم أحد أن هذه مفخرة ذاتية للقمر. كلا إنما القمر يفتخر بعكسه لضوء الشمس فقط. هنا ينشأ السؤال هل للشمس ضوء ذاتي، كلا بل هي الأخرى تكسب الضوء بفضل الله، فإذا كان القمر ينير وكانت الشمس تشرق، وكلاهما يعجبانا ونراهما مفيدتين، فإن جمالهما ونفعهما في الحقيقة يلفت أنظارنا إلى جمال الله وكونه رحيمًا وكريمًا. ومثل ذلك جميع الأشياء الجميلة في العالم؛ نصفها بأنها جميلة، لكنها قد اكتسبت الجمال والحسن من الله حصراً، فهو صاحب كل نوع من الجمال، ولذلك قال الله في سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي جميع المدائح لله وحده لا غيره، وذلك لأنه ﷻ رب العالمين. فهو خالق الكل ومربي الجميع، فإذا كان هو الذي يربي كل شيء فلماذا لا تتحقق له جميع المدائح. صحيح أن الوالدين يربيان الولد، لكن هل تعرفون من الذي ألقى في قلوبهما حبه، إنما الله وحده ألقاه. ومثل ذلك إذا كان أحد يدفع للسائل قرشا نقول إنه عمل عملا حسنا، لكن الله ﷻ في الحقيقة هو الذي ألهمه هذا العمل، ورغبه فيه. ومثل ذلك كل عمل ينجزه أي إنسان فإنما ينسب إلى الله وحده. لذا فالمستحق الحقيقي للحمد هو الله وحده، ومثل ذلك أن السيد إذا طلب من خادمه أن يوزع كذا من المال على الفقراء، فعمليا يقوم بهذا العمل ذلك الخادم، لكنه ينسب في الحقيقة إلى سيده الذي أمره به. فالإنسان الذي يحسن إلى أحد فإنما يقوم

بركات الخِلافة

بذلك نيابة عن الله أو بترغيبه على شاكلة توزيع مال السيد، لأنه لا شيء ملك له وإنما الله مالك كل شيء. فقدر ما يتصف المرء بإحسان ومروءة وحسن وجمال فهو لله، لأن العالم كله خادمه ولا ربَّ وسيدَ إلا هو. إن الناس يواجهون مشاكل كثيرة في الدين بسبب الوالدين والزوجة والأولاد والمال والثروة والأقارب، لكن تذكروا أن الله هو الله والعبد هو العبد. فتحروا في كل أمر ما هي مشيئة الله، وإذا عرفتم مشيئة الله فضعوها نصب أعينكم على الدوام حتى لو تطلَّب ذلك أي تضحية.

اجتنبوا الشرك

وفوق ذلك أودَّ أن أخبركم أنه يجب على الإنسان أن لا يشرك بالله أحدًا، فالله أحد، وأنا موقن بأن أي أحمدي لا يشرك، فقد وفَّقهم الله ليكونوا موحدين. فلا أخاف أن يسجد أي أحمدي للأوثان أو أن يسعى لعلاقة بغير الله، تاركًا إياه ﷻ. فالآخرون قد تركوا الدين، أما أنتم فجماعة ادَّعيتم أنكم ستؤثرون الدين على الدنيا، ثم إن الله قد وعد هذه الجماعة أنه سيربيهم، فهي جماعة الصالحين، لذا فلا مجال للشك في أنهم من الممكن أن يتورطوا في الشرك الصريح، لكنني أنبهكم أن كثيرا من الدين يتحول إلى الدنيا، وهذا الدين لا يقرب الإنسان إلى الله قيد أمثلة، وإنما أدعوكم إلى دين إذا تقدم الإنسان إليه تقدم إلى الله. فحين تصلون اليوم وتدعونه ستجاب ادَّعيتكم آلاف المرات أكثر بالالتفات إلى هذا. وسترون نتائج أعمالكم بأم أعينكم، إنكم بفضل الله تسرون على الصراط المستقيم، ومع ذلك تمسُّكم

الحاجة إلى الحذر الشديد والتنبّه، لأن الشيطان يخدع الإنسان طورا عن طريق الدنيا وتارة عن طريق الدين. لذا فالأمر الذي أود أن ألفت انتباهكم إليه هو أن تكون النية وراء عبادتكم نيلَ رضوان الله، وينبغي ألا تكون نيتكم سوى هذا. وعندما تقومون للصلاة فكروا في أنفسكم: هل أنتم تُقبلون على هذا العمل ابتغاء مرضاة الله أم لغرض آخر، مثل ذلك عندما تدفعون التبرعات فيجب أن تفكروا كم مرة دفعتم من أجل رضوان الله وكم مرة لم تكن لكم أي نية في التبرع وجاء المسؤول عن التبرعات وطلب منكم ودفعتم له. فالذين يطلبون التبرعات لا يعرفون بأي نية دفعتم، لكنكم تعرفون جيدا نيتكم عند الدفع، يجب أن تدركوا أنكم دفعتم من أجل الدين ونيل رضوان الله، وعلى هذا المنوال يجب أن يكون الله ﷻ نصب أعينكم عند القيام بأي عمل، ويجب أن تكون نيتكم وراء كل عمل هي اكتساب مرضاة الله، وعندما تكون نيتكم هذه وراء كل عمل، فسوف تتغير نتائج عبادتكم غدا وبعد غد وبعده، وتحززون تقدُّما مستمرا. فاعلموا أن عملا ما إذا كان بنيةً معينة، سوف تترتب عليه نتيجة معينة. لكن العمل نفسه إذا أنجز بنيةً أخرى تكون له نتائج مختلفة. فمثلا إذا رأى أحد زنبورا أو عقربا على جسم أحد فضربه بقوة ليقتل الزنبور أو العقرب فسوف يكسب مدحه وشكره وامتنانه لعلمه أنه لو ضربه بلطف لما مات الزنبور. أما إذا لطم أحدُ إنسانا بنية الإيذاء فسوف يعاقب. فالعمل الواحد بتغير النيات يؤدي إلى نتائج مختلفة. فلا تنجزوا أي عمل صالح أو عبادةً عادةً وتقليدا، بل بدافع نية

معينة. كثيرون يطلبون جمع التبرعات من أجل الشعب ويطلبون أن يعملوا كذا وكذا من أجل الشعب، لكنني أقول: ما معنى الشعب؟ بل تبرعوا من أجل الله وحده لا للشعب، فلا تجرّين هذه الكلمات المسيئة على ألسنتكم، أفلم تكن قبلكم شعوب؟ ألم يكن لكم أعزاء وأقارب؟ وإذا كانوا موجودين فأى حاجة كانت لإنشاء هذه الجماعة الجديدة التي تصفونها شعبا؟ تذكروا أن الشعب لا قيمة له، وإنما الله هو كل شيء، إذن يجب أن تصدر منكم جميع الأعمال من أجل رضوان الله فقط. يجب أن يكون كل تصرف لكم من هوض وجلوس ومشى وتجوّال ونوم وبقظة من أجل الله فقط، وإذا فعلتم ذلك فسترون نتائج أعمالكم أفضل فأفضل حتما.

اعملوا كل شيء بعد استيعابه

كثيرون يعملون عملا معينا دون أن يعلموا الدافع وراء ذلك، فهم يعملون ذلك اتباعا للتقليد، لذا لا يؤدي عملهم إلى نتيجة. فالمسلم مثلا لا يأكل باليد اليسرى، بل يستخدم اليد اليمنى، وذلك لأن النبي ﷺ قد أمره بذلك، لكن أحبروني كم مرة خطر ببالكم عند تناول الطعام أنكم تقومون بذلك استجابة لأمر النبي ﷺ، فكروا في سنة أو سنتين ماضيتين في حياتكم كم مرة خطر ببالكم أنكم تقومون بذلك بهذه النية؟ فستجدون الكثيرين الذين لا يكون قد خطر ببالهم ولا مرة واحدة في حياتهم؛ لماذا يأكلون باليد اليمنى، ولماذا لا يأكلون باليسرى؟ اعلموا أن تناول الطعام باليد اليمنى عملٌ يُثاب عليه لأن الذي يقوم به إنما يستجيب لأمر النبي ﷺ، أما الذي لا يأكل

بيمينه لأن النبي ﷺ قد أمر بذلك وإنما لأنه اعتاد منذ الطفولة على ذلك فأى أجر يستحقه؟ فلا يستحق أي أجر أو ثواب. فالملاحظ أن الأولاد الصغار عندما يشعرون بالحاجة إلى التبول ليلاً أثناء النوم فيجثون على شاكلة من يسجد، فهل ينالون أي أجر على ذلك؟ كلا! وذلك لأنهم لا يسجدون وإنما اتخذوا هذه الوضعية بسبب الخوف من التبول، فالإنسان يُنجز أعمالاً كثيرة اتباعاً للتقليد والعادة، وهو عيب يضر كثيراً، فكأنه صُدماً يصيب قلب الإنسان. ولذلك لا تكون الأعمال التي ينجزها الإنسان عادة وتقليداً مؤثرة كما تؤثر الأعمال التي ينجزها بنية معينة. إن الإسلام يتمتع بمحاسن كثيرة لدرجة لا يُعتقد أن ينكرها أحد إذا عرض عليه، فلقد فكرت كثيراً في أنه إذا كان الإسلام يملك هذه الميزة فلماذا لا يعتنقه الناس كلهم، وتوصلت إلى أن سبب ذلك أنه لما كانت أمور أخرى تقع على مسامع غير المسلمين منذ الطفولة، وهم يسمعون على التوالي ما يعارض الإسلام، فحين يُعرض عليهم الإسلام ينكرونه. وإلا ما السبب وراء عدم فهم المسيحي -الحائز على شهادة ماجستير- لمحاسن الإسلام، بينما يقول أجهل إنسان وُلد في بيت المسلمين، إن الإسلام دين صادق وسائر الأديان باطلة، فهذا يقول ذلك لأن والديه مسلمان، فظل يسمع منذ الطفولة أن الإسلام على حق. أما ذلك الحائز على الماجستير فلا يدرك ذلك لأنه سمع منذ الطفولة أموراً أخرى، وهي تؤثر فيه، والآن لا يستطيع أن يسمع خلاف ذلك. لقد تكلمت مع مسيحي فقال: لقد بحثت كثيراً في مسألة الكفارة، أرجو أن تتكلم عنها.

فبدأتُ الكلام عن الكفارة، وخلال مدة قصيرة، اعترف بأن الكفارة تعارض العقل والطبيعة فعلا، وإنما يؤمن بها الآن لأنه ولد في بيت مسيحي. فالأعمال الدينية الكثيرة تنجز اتباعا للعادة والتقليد فحسب. فالمسلمون الأحناف عادة يقرأون شيئا برفع اليدين بعد تناول الطعام، فإن كانوا يشكرون الله ﷻ على نعمه فهذا جيد جدا، لكن الكثيرين منهم لا يعرفون لماذا يقومون بذلك. فهل هؤلاء ينالون الثواب الذي يناله الشاكرون على نعم الله؟ كلا. لأن الثواب يترتب على القول بـ "الحمد لله" بصدق القلب فقط. الناس عادة يشتكون أنهم يصلون ويصومون ويدفعون الزكاة، ويحجون البيت، فلا يستفيدون من ذلك شيئا، فأقول لهم إنكم تقومون بذلك كله اتباعا لعاداتكم، فأبي حاجة لله أن يفيدكم.

فلا يخطر ببالكم إثر سماع هذه الأمور أن قطعة الحلوى قد وضعت أمامكم، لأن نتائج عمل واحد تتغير بتغير النيات والإرادة، فإذا فهِمتم هذه الأهمية وأدركتم أن الإنسان عندما يعمل عملا معيناً بنية ما فتظهر له نتائج غير التي تظهر للعمل نفسه بنية أخرى، فسوف تنجحون. فانظروا أنه قد جاء إلى المدينة مع النبي ﷺ مهاجرون من أجل الله ﷻ، كما كان الآخرون أيضا يأتون إليها من الخارج من أجل التجارة، فهل سينالون أي أجر؟ كلا! وإنما استحق الثواب أولئك الذين أتوا من أجل الله ﷻ فقط، لأن مجرد الجيء إلى المدينة للسكن فيها لا أهمية له، وإنما يترتب الأجر على النية فقط، كما ينال المرء ثواب الصلاة أيضا لأنه يصلي ابتغاء مرضاة الله فقط وطاعة له،

كما أن الصيام أيضا يقوم به المرء استجابة لأوامر الله فحسب، والغرض نفسه للزكاة والحج أيضا، أما إذا كان الناس قد اتخذوا هذه الأعمال عادة في العصر الراهن، فأني لهم الثواب!؟

بعض الناس معتادون على تحريك الأيدي أو الأكتاف، كما يردد البعض "الحمد لله وسبحان الله" عادةً فقط، دون أن يدركوا لماذا يقولون الحمد لله أو سبحان الله. لكن قول "الحمد لله" نفسه إذا رددته الإنسان بنية وقصد، يصبح ملاكا في يوم واحد. وقول "سبحان الله" نفسه لو ردد بنية وقصد يتقرب به المرء إلى الله في يوم واحد. يقول النبي ﷺ: كلمتان خفيفتان على اللسان - إذ يرددهما الإنسان في لحظة - لكنهما ثقيلتان في الميزان - أي عندما يضعهما الله في الميزان فستكونان ثقيلتين؛ أي سيصبح ميزان الأعمال راجحاً - حبيبتان إلى الرحمن - أي يجبهما الله كثيرا ويعجب بهما كثيرا - وهما "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". لكن الملاحظ أن الكثيرين يرددونهما ويبقى ميزانهم كما هو، بينما يقول النبي ﷺ أنه بسببهما يصير ثقيلًا. لكن هنا يبقى الميزان على حاله رغم ترديدهما آلاف المرات، وسبب ذلك غياب النية، فهم يرددون باللسان أن الله قدوس إلا أنه لا يحظر عَلَيْكَ ببالهم قط، وهم لا يشكرونه على نعمه، وإنما يحفظون الكلمات فقط، فاعتياد أي عمل يُفسد الإنسان كثيرا مهما كان في حد ذاته صالحا، فمن الملاحظ أن الإنسان حين يعتاد على أمر سيئ وخطير أيضا يتلاشى ضرره حتما، دغ عنك العادات الحسنة. فالذين اعتادوا أكل السموم لا يضرهم تناول مقدار عشرة غرامات من السم

الزعاف. بينما إذا أكله غيرهم هلك فوراً، فالعادة لا تبقى تمييزاً بين الحسنة والسيئة. يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٧)، ففي هذه الآية أخبرنا الله ﷻ أن الأمر الذي يعتاده الإنسان لا يشعر به ولا يبقى مفيداً ولا ضاراً كسابق عهده، فالصداع ألم شاقّ جدا لكن الإنسان إذا اعتاده خفَّ ألمه.

حادث واحد

لقد بينَّ أحدهم كيف تقل المشاعر والأحاسيس نتيجة العادة في حكاية لطيفة، فكتب أن الله ﷻ قال للناس إنكم تقولون إن مصابكم أكبر من غيركم فتعالوا استبدلوا آلامكم ومعاناتكم التي ترونها أكبر وأشدَّ بغيرها، فنبذوا آلامهم وعبوهم واستبدلوا بها آلاماً أخرى، فالذي كان يتألم بالصداع تخلى عن ذلك الرأس وأخذ قدماً غليظة ثقيلة الحركة، والثاني كان أصمَّ أراد أن يستبدل الصمم بالعمى، وهكذا كل واحد استبدل بألم غير الذي كان يراه أقل منه. فلما أرادوا أن ينصرفوا إلى بيوتهم؛ فالذي كان قد اختار القدم الغليظة الثقيلة لم يستطع أن يحملها، أما الذي استبدل الصمم بالعمى فقد قال: عندما لم أكن أسمع شيئاً كنت أستطيع أن أتجول حيثما أريد، أما الآن فلا أعرف أين أتوجه. فأبدوا الرغبة في أن يستعيدوا آلامهم ومعاناتهم السابقة. فالأمر الذي يعتاده الإنسان يخفُّ ألمه فيه، ومثل ذلك يقول الله ﷻ: عندما ستنضح جلودُ أهل النار ستبدلُ بغيرها ليدوقوا العذاب. فالذين يكسبون الحسنات اتباعاً للعادة فلا يستحقون أي أجر؛ فالذي يعذب، حين يعتاد يخفُّ ألمه، فكأن العادة ضماد

يغطي أي جرح مع أن في داخله خبثًا. فتذكروا دوماً أن الذي يصلي اتباعاً للعادة فلا صلاة له، ومثل ذلك لا زكاة لمن يدفع الزكاة اتباعاً للعادة، ولا صيام لمن صام اعتياداً، ولا حج لمن حج معتاداً. ألم يكن الناس يصلون قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام، أو لم يكونوا يدفعون الزكاة، أو لم يكونوا يصومون، أو لم يكونوا يحجون؟ كلا، بل كانوا يمارسون هذه الأعمال، إلا أن نيتهم وراء ذلك كانت الرياء، فلم يكن ينفعهم شيئاً. أما أنتم فيجب أن يكون الله نُصَبَ أعينكم في جميع أعمالكم، فإذا عملتم بهذا فستلاحظون تغيراً فورياً في الروحانية؛ فلا تعملوا أي عمل بدافع العادة، بل بنية معينة.

ما الذي يريده الإسلام؟

إنما يقصد الإسلام أن يمحو العادة، وهذه هي مهمته البارزة، إن الإسلام يعادي العادة، لأنه بسبب العادة لا تبقى أيُّ حسنةٍ حسنة. يقول الإسلام: إن على المرء أن ينجز كل عمل ابتغاء مرضاة الله فقط. فعندئذ سينال ما يريد، يقول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢١)، أي نحن نساعد الجميع؛ فالذي يسعى لنيل الدنيا ينالها، والذي يسعى للفوز بالقرب الإلهي يناله، وهذا عطاء من الله. فاسعوا للفوز برضوان الله أو جاهدوا في الله فستجدونه حتماً.

مدارج تقدم الإنسان روحانياً

لقد حدد الله تعالى لتقدم الروح الإنسانية سبعة مدارج، فالتفاوت الذي يحدث في هذه المدارج يكون نتيجة عادة الإنسان، يقول الله تعالى في القرآن

بركات الخِلافة

الكريم عن الصلاة: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٤)، فالسكر لا يعني حصراً أن يسكر أحد نتيجة شرب الخمر، لأن شرب الخمر كان حراماً قبل نزول هذه الآية وهو حرام إلى الآن. فهنا ينشأ التساؤل: إن الخمر إذا كانت حراماً فما معنى عدم مجيء الشارب إلى المسجد؟ فصحيح أن هذا الأمر موجه إلى الشارب أيضاً بأنه إذا أراد أن يشرب فلا يحضر مسجداً بعد الشرب. ومثل هذا الأمر كمثل ما يأمر به الأب ابنه العاصي أنه ما لم يتخلل عن عادته الفلانية فلا يدخل بيته. لكن هناك معنى آخر للسكر وهو أنه كما لا يعرف الشارب السكران ماذا يفعل وماذا يقرأ، يقول الله لا تصلوا عادةً أو إدماناً؛ إذ يجب ألا تكون صلاتكم تقليداً للآخرين فقط، بل ينبغي أن تصلوا بإدراك ووعي، فممارسة عمل عادةً وتقليداً دون معرفة الغاية المنشودة منه أيضاً نوع من السكر. فالمعنى الحقيقي للسكر هو ما يصيب الإنسان بعد شرب الخمر من النشوة، لكن لكلام الله بطون كثيرة، فمن ناحية تنهى هذه الآية الشارب من قرب الصلاة، ومن ناحية ثانية تفيد بأنه يجب ألا تصلوا الصلاة عادةً غافلين عن الهدف الحقيقي لها. لأنه كما لا يعرف شارب الخمر أنه قد وقع في مستنقع وسخ وقدر جداً أو هو جالس على سجادة فاخرة، كذلك لا يعرف المصلي بدافع العادة أنه يقوم على أعتاب الذات العظيمة أو تائه في غابة، ولذلك نهى الله ﷻ عن الصلاة في هذه الحالة.

الآن أخبركم كيف بين الله لنا المراتب السبعة للروحانية؛ فهذه المراتب تفيد كيف يتردى الإنسان في هوة الانحطاط عندما يتخلى عنها، وكيف

يقطع أشواط التقدم والرفعة بالفوز بها، وبقدر ما يدرك ويعي يجد النتائج الحسنة وجزاء أعماله.

الدرجة الأولى للروحانية

الدرجة الأولى للإنسان تشبه الجمادات، وهي أسوأ الدرجات، فالناس في هذه الدرجة لا يقدر على التمييز بين الحسن والسيئ، فمهما أثار أحد ضجة أمامهم لا يتأثرون، لأنهم لا يملكون القدرة على التقدم. وأمثال هؤلاء لا يتلقون رؤيا أو إلهاما أيضا، وإليهم أشير في الآية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٥). أي قد فسد هؤلاء لدرجة أنهم تشابهوا مع الأحجار ولم تبق فيهم أي قدرة على التقدم، بينما البذرة الصغيرة حين تبذر في الأرض وتُسقى، فهي تنمو حتى تصبح شجرة كبيرة. أما الحجارة فمهما سقاها أحد وبذل الجهود الجبارة لتنميتها، فلا فائدة؛ فأدنى درجة من روحانية الإنسانية هي عدم التمتع بأي علم وإحساس. فالإسلام يريد أن يولد في الناس الوعي والإدراك حتى يعلموا ما يفعلون، لكن الإنسان في هذه الدرجة لا يتمتع بأي فهم. فهم يستجيبون لتقلبات أوضاع العالم؛ فحين يشعرون بجوع يُلقون في بطونهم شيئا، وحين يشعرون بالنعس ينامون، وحين تثور عندهم الشهوة يشبعونها، فهم بذلك لا يستحقون أي أجر عند الله.

الدرجة الثانية للروحانية

والدرجة التالية تشبه النباتات، والحقيقة أن جسم الإنسان يضم كل شيء؛ إذ بعض أجزاء جسم الإنسان تشبه الجمادات وأخرى تشبه النباتات وأخرى تشبه الحيوانات. فالغذاء الصحيح للإنسان يتكون من هذه الأشياء الثلاثة. ولما كان جسم الإنسان يتكوّن من الغذاء، فهو يُوثر في حياته وأعماله. لكن الأفكار الروحانية تحجبها الأفكار الحيوانية ويصبح الإنسان كالبهائم. وأحيانا تندفن المشاعر الحيوانية تحت القوى النباتية، ويتدري أكثر، ثم فوق ذلك تغلبه صفة الجمادات ويتصغ الإنسان بصيغة الجماد، ويصبح قاسي القلب. فكما يدرج الإنسان حجرا، تُدرجه أحداثُ العالم وحوادثه، لكن هذا الإنسان لا يتأثر. ومثل ذلك حين يخطو الإنسان خطوة إلى الأمام ويتخلى عن حالة الجماد، تنشأ فيه قوة تشبه النباتات. فبعض الناس يُشبهون الأحجار حيث لا يوجد فيهم إحساس، وبعضهم يكونون كالنباتات التي تتمتع بإحساس، فقد ثبت بعد تجارب كثيرة أن النباتات أيضا تملك روحا. وإن كانت أقل درجة بكثير من روح الإنسان، إلا أنها موجودة، وما يُثبت ذلك شجيرة "لاجونتي" أي ميموزة المستحية التي حين تُمسّ أوراقها تنكمش. فهذه الشجرة هي من نوع النباتات التي ارتقت في نموها فاقتربت من درجة الحيوان، ومن هنا نعرف أن الأشجار أيضا تتمتع بالإحساس وإن كان متفاوتا. ومثل ذلك بعض النباتات الأخرى تشبه الحيوانات، فالاسفنج مثلا يتغذى على الحيوانات، وبعضهم

يعدّونه من الحيوانات، وهو في الحقيقة شجرة راقية، اقتربت جدا من الحيوانات. باختصار يبدو من هذه النظائر، أن النباتات أيضا تتمتع بالإحساس، إنما الفرق بين النباتات والحيوانات هو أن النباتات تتمتع بالإحساس إلا أنها مع ذلك لا تقدر على الدفاع عن نفسها ضد أي صدمة. فصحيح أن أوراق شجرة "لاجونتي" تنكمش باللمس لكنها لا تقدر على الهروب لتتقذ نفسها. ومثل ذلك من الناس من يتمتع بشيء من الروحانية لكنه لا يستطيع حماية نفسه من أي هجوم، لأن حسه الروحاني يكون خفيفا جدا، فقد أشار القرآن الكريم إلى هؤلاء في قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، أي أنك تدعو هؤلاء المعارضين إلى الهدى لكنهم لا يسمعون، وتراهم ينظرون لكنهم في الحقيقة لا يبصرون شيئا. فصحيح أن السمع يعني السماع، لكن الغرض الحقيقي من السمع هو الإيمان، ولذا فمعنى ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾ أنهم لا يقدرّون على الإيمان. فهؤلاء يتمتعون بالإحساس لكنهم لا يقدرّون على الاحتماء، كما هم يتمتعون بالعيون لكنهم لا ينتفعون منها.

الدرجة الثالثة

فوق ذلك هناك درجة تشبه الدرجة الحيوانية، حيث يكون الإنسان فيها كالحيوان أي يكون إحساسه أقوى من النباتات، ففي هذه الحالة إذا أسمعتموه شيئا فيسمع ولن يفهم المعنى، وإذا آلمتموه فسوف يهرب لكنه لن يقدر على

إيجاد وسائل تحميه من هذا الخوف للأبد؛ مثل الإنسان الذي حين يجد أي شيء ضارا يفكر على الدوام في وسائل التخلص منه، لكن الحيوان لا يتمتع بالتطور والاختراع. فعن هذا النوع من الناس يقول الله ﷻ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِيُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، أي لهم قلوب لكنهم لا يستفيدون منها، ولهم أعين لا ينتفعون بها، ولهم آذان لكنهم لا يوظفونها، كل هذه الأعضاء عندهم لكنهم لا يملكون العقل الإنساني، بل عندهم عقل حيواني. فهم يهربون من الخوف ولا يقدرّون على إيجاد وسائل النجاة في المستقبل، أي هم يتضرعون إلى الله في الخوف والفرع فينجون من الخطر، لكنهم لا يكونون محفوظين للأبد، بل عندما تصيبهم مصيبة يتوجهون إلى الله.

الدرجة الرابعة

عندما يقوى الإحساس أكثر يرتفع الإنسان درجة أخرى، وهذه الدرجة متوسطة إذ تحتها ثلاث درجات وتفوقها ثلاث درجات، وفي هذه الدرجة ينشأ لدى الإنسان إحساس ما، فهو ينجز الأعمال بفهم ووعي، إلا أن الشيطان يغلبه أحيانا، أي أحيانا تجذبه السيئة إليها وأحيانا تجذبه الحسنة. وتنح هجمة السيئة عليه قليلا، لأنه يحدث له إدراك السيئة، وعن هذه الحالة للمرء يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٢)، أي أحيانا يجذب الشيطان أمثال هؤلاء لكنهم يتنبهون فورا. فالنسيان يلزم الإنسان في هذه الدرجة،

وبتعبير آخر يمكن أن نسميها النفس اللوامة، وعن هؤلاء يقول الله ﷻ إن الشيطان حين يهاجمهم يلجأون إلى الله فوراً، وهذا ما يليق بالمتقين.

الدرجة الخامسة

ثم يتقدم الإنسان أكثر ويصبح تدريجياً ملكاً إذ يكون يقظاً على الدوام لدرجة لا يغلبه عندها الشيطان أبداً، وتتطور معرفته الإلهية، لدرجة أن يستجيب لجميع أوامر الله ﷻ. وكما أن الملائكة ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يستجيب هو الآخر لجميع أحكام الله ولا يصيبه أبداً نوم الغفلة، وعن هذا يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

(الرعد: ٢٠-٢٥)

إن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ أي أن درجاتهم عظيمة لدرجة لن يُمنحوا هم وحدهم هذه الدرجات، بل إن أقاربهم الذين يكونون قد أحرزوا حسناتٍ أقل سترفع درجاتهم أيضاً بسبب هؤلاء، وسوف يوصل أقاربهم إليهم، وذلك لأنهم سعوا لجعل الناس صالحين وظلوا يسعون لأن

يهتدي الناس إلى الصراط المستقيم. فسوف يرفع الله درجات أقاربهم أيضا إكراما لهم. لقد قال النبي ﷺ: إن عليا وفاطمة أيضا سيكونان حيث أكون أنا. يقول الله ﷻ: كما ظل هؤلاء يعتنون بخلقنا وينصحون لهم، سأنفع أقاربهم جزاء على ذلك. وما أطف الكلام الذي قاله الله ﷻ بعد ذلك؛ وهو أن هؤلاء عندما يدخلون الجنة سيندفع الملائكة إليهم. وذلك لأنه لما كان هؤلاء يتمتعون بصفات الملائكة كان لا بد أن يحبهم الملائكة، فسوف يندفعون إلى أمثال هؤلاء، قائلين: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، وهنا أخبر الله أن هؤلاء الناس سيرتقون إلى درجة الملائكة.

الدرجة السادسة

ثم يتطور الإنسان أكثر، وعندما يقوى إحساسه أكثر يرتفع أكثر، وفي هذه الدرجة لا ينقذ نفسه من السيئات فحسب، بل يوقن أنه لا شيء، ويسلم نفسه لله. وعن هذه الحالة كتب الصوفية أن الصفات الإلهية تظهر فيه. يقول الله ﷻ في هذا الخصوص: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣) فلما كان سيدنا إبراهيم عليه السلام نبيا فقد نال هذه الدرجة. فعنه يقول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣٢). كان الإنسان في درجة الملائكة يظن أنه أيضا يمكن أن يفعل شيئا ويقول: مُروني أفعل. أما في هذه الحالة فيقول الإنسان لله ﷻ: إنني لا شيء، فسيّرني كما تريد. والآن عندما يسيره الله فكل ما يصدر عنه يعدّ

من الله. لأن الذي بيده قلم فسيكتب القلم ما يريد صاحبه ويُنسب المكتوب إليه. وقد ورد في الكتب أن جنديا كان يستخدم السيف بقوة لدرجة كان يقطع الأرجل الأربعة للحصان بضربة واحدة، وحين رآه ابن الملك طلب منه السيف فاعتذر، لكن الملك ضغط عليه فسلمه ذلك السيف، وحين استخدمه الأمير لم يحدث شيء. عندها قال الجندي: لهذا كنت قد اعتذرت، لأنه لا توجد في هذا السيف ميزة خاصة، وإنما كان يقطع القوائم الأربعة للحصان لكونه بيدي. وإذا أعطيتوني سيفاً آخر فسأقطع به أيضاً، فذلك ليس لميزة في السيف، وإنما لكفائي أنا. فهذا هو حال العبد؛ فحين يسلم نفسه لله ﷻ، تُعدّ جميع أعماله أعمال الله. ولهذا السبب حين لا يفقه الحمقى هذا السر يعرقلون هذه الأعمال فيبادون، بحيث لا يبقى لهم أي أثر. وفي هذه الدرجة لا يبقى الإنسان بحاجة حتى إلى واسطة الملائكة أيضاً. فقد ورد عن سيدنا إبراهيم عليه السلام أن جبريل جاءه يسأله إذا كانت عنده أي حاجة ليسدّها. فقال له: إذا كانت لي حاجة فسأطلبها من الله مباشرة دون أن أطلبها منك، عندها قال له جبريل: ادع الله إذن. فقال له إبراهيم عليه السلام: العارف بحالي غني عن سؤالي. باختصار يتقدم الإنسان تدريجياً حتى يفوق الملائكة درجةً، بحيث تظهر فيه الصفات الإلهية، ويجعل نفسه كسلاح في يد الله يتحرك بتحريكه ويعمل بإعماله. فمواجهة مثل هذا الإنسان تعدّ مواجهة الله، وهذا الإنسان يفوّض كل عمل له لرضوان الله تعالى. وعن هذا المقام قال النبي

ﷺ: إن الإنسان يتقرب إلى الله حتى يكون الله عينه وأذنه ويده وقدمه، ويعادي الله من عاداه، ويوالي من والاه. وبحسب هذه الدرجة قال الله ﷻ للمسيح الموعود: إن الذي لا يتوجه إليك لا يتوجه إلي، لأنك مظهر لصفاتي، لذا فإنك إنكارك إنكاري. وفي هذه الدرجة يصبح الإنسان في يد الله كاملاً، وفوق ذلك درجة واحدة فقط.

الدرجة السابعة

وهي أن الله ﷻ يقول: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥). ما الذي تسألون عنه؟! إن تلك الحالة لا توصف. إذ بيد الله الإنسان في خلق آخر، وتعاد إليه قدراته مرة أخرى. وإذا كان في الدرجة السابقة يتكلم بإنطاق الله ففي هذه الدرجة تُمنح له مكانة وتنشأ في نفسه طهارة، حتى يصدر الله الأوامر بحسب ما يقول هذا العبد، فهذه درجة المحبوبة. فكثير من كلام أصحاب هذه الدرجة الذي يقولونه باجتهادهم يحققه الله، وإلى ذلك تشير الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٢)، أي أيها الرسول، قل لهم إني حبيب الله وإن كنتم تريدون أن تكونوا أنتم أيضاً أحبائه فأحبوني. في هذه الحالة لا يكون الإنسان مظهر صفات الله فحسب، بل تتقدم روحانيته لدرجة أنه لا تبقى له أي علاقة بكل من سواه، ولا يستطيع الإنسان الوصول إلى الله مباشرة دون واسطته.

باختصار؛ هذه هي درجات ارتقاء الإحساس، وقد بيَّنها الله ﷻ في القرآن الكريم. فبقدر ما يتقدم الإنسان فيها يرتفع، أما النبي ﷺ فكان قد

ارتقى لدرجة أنه قد قال ﷺ: "تنام عيني ولا ينام قلبي" (البخاري، كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه)، فكان النبي ﷺ أحيانا ينام ثم يستيقظ ويصلي دون أن يتوضأ^١، فكان قد وُهب جلاء القلب بحيث لم تكن أحاسيسه تبطل حتى في النوم. فمرة سُئل ﷺ كيف تصلي بلا وضوء بعد النوم مع أنك كنت تشخر؟ فقال "تنام عيني ولا ينام قلبي". فكان النبي ﷺ يطلع على حالة المصلين خلفه في حالة الكشف كما هو وارد في الأحاديث الصحيحة. باختصار لا تطراً الغفلة في هذه الدرجة، وقد ذكر الله هذه الدرجة في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥)، فهذه الدرجة لكامل الإنسانية.

وإني أرشدكم، إذا كنتم تريدون التقدم والارتقاء فاسعوا لتوليد هذا الإحساس فيكم، فالذنب ينشأ نتيجة فقدان الإحساس. فانظروا إن المومسات أيضا يتصدقن ويتبرعن، فهل يجدن الثواب؟ كلا! لأنهن لا يتصدقن ابتغاء مرضاة الله وإنما لزعمهن أن العذاب يُصرف عنهن، فلو كانت صدقاتهن ابتغاء مرضاة الله لما ارتكبن الزنا. لقد قال النبي ﷺ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إنه لم يصبح كبيراً بسبب صلواته، وإنما بسبب ما في قلبه. أما الصلوات فكان يؤديها الآخرون أيضا، والآن أيضا يصلي غير الأحمديين. ولكن هل بلغوا بذلك درجة الصحابة أو حتى درجة مؤمن عادي؟ كلا بل هم ليسوا أهلا لنيل شرف حل رباط حذاء أي مؤمن، بل

^١ البخاري كتاب الوضوء. (المترجم)

أكثرهم قدرون وسيئون وخبِيثون. فما السبب أنهم لا يصلحون. إنما السبب أنه ليس فيهم إحساس، فولدوا فيكم الإحساس. وينبغي ألا يكون أي عمل لكم بدافع العادة والتقليد فقط، بل يجب أن تصدر أعمالكم كلها من أجل الله. وأخبركم تسهيلاً عليكم، عن التدابير الممكنة لذلك، لكن قبل ذلك أود أن أخبركم أن كثيراً من الناس ينخدعون.

سوء الفهم

وذلك الانخداع وسوء الفهم أنهم تلو البيعة يسألون لماذا لا يرون الله؟ فلو سئلوا كم يستغرق نيل شهادة ماجستير لقالوا ١٦ عاماً على أقل تقدير. فأقول لهم: إذا كنتم تبذلون ١٦ عاماً لنيل الشهادة في العلم المادي فلماذا تطرحون مثل هذه الأسئلة ببذل يوم واحد في طلب العلم عن الله ﷻ؟! فمن أراد أن ينال شهادة ماجستير في أول يوم من ذهابه إلى المدرسة فلن تتحقق أمنيته أبداً. فأمثال هؤلاء يصلون عدداً من الأيام ثم يقولون لماذا لا يؤيدنا الله ولماذا لا يجيب أعداءنا ويهينهم؟ لكن كم هو مثير للتعجب والغرابة أنهم يتمنون حدوث الكمال في الروحانية بسرعة هائلة. هم ينتظرون عدة أشهر من أجل حصاد المحاصيل الزراعية، ويبدلون ١٦ عاماً لنيل شهادة ماجستير، والمولود يولد بعد تسعة أشهر. فأى شيء يمكن الحصول عليه دون بذل الجهود والمسامحة والوقت؟ فبعض الأحزان والمعاناة تلازم كل نعمة عظيمة؛ تذكروا أنه كما لا بد من بذل الجهد والسعي الدعوى في الشؤون المادية، يعمل المبدأ

نفسه في الدين أيضا. فبقدر ما يجتهد الإنسان أكثر ينال ثمارا أكثر. هنا يمكن أن يسأل أحد: ما دام النجاح متوقفا على جهود الإنسان، فما الفرق إذن بين الإسلام والأديان الأخرى؟ فنحن نبين له الفرق كالتالي: إن الإنسان الذي يريد الوصول إلى "بطاله"، إذا سار على الطريق المؤدي إلى بطاله فسوف يصل أخيرا حتى لو استغرق وقتا طويلا وواجه إرهاقا. أما الذي سار على الطريق المعاكس فلن يصل إلى بطاله حتى لو سلك عليه طول الحياة. فأنتم أيضا إذا سلكتم الطريق المستقيم الذي شرحته لكم فسوف تصلون إلى محطتكم الأخيرة. وإلا فلا، فلن تنالوا قرب الله دون النية، أما الذي عقد النية فسوف ينال قربة تعالى رويدا رويدا، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي أن الذين ييقنون دوما في صراع وعراك مع النفس ويحاربون السيئة ليصلوا إلينا فسوف نهدي هؤلاء إلى سبلنا. هنا نقطة جديرة بالذكر وهي أن الله قال هنا ﴿سُبُلَنَا﴾ وفي آية أخرى قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ (الأنعام: ١٥٤)، أي يصل إليه صراط مستقيم وحيد. ومن هنا تبين أن السبل الكثيرة زائفة، إلا أن ﴿سُبُلَنَا﴾ أيضا تفيد أن للوصول إلى الله أيضا سبلا كثيرة، فنوفق بين هاتين الآيتين بالقول إنه يظهر صراطٌ تلو الآخر، وبذلك تكون سبلا كثيرة. وهذه السبل ليست متخالفة أو متعاكسة. فلما كان صراط يظهر تلو الآخر فإن قطع هذه الطرق أيضا يتطلب جهدا شاقا، وعندئذ تصلون إلى الغاية المنشودة. فأنتم بحاجة إلى هذا الجهاد حصرا. والآن أبين لكم الطرق التي بينها القرآن الكريم.

بركات الخِلافة

- (١) الصلاة، فإذا أدى المرء الصلاة خمس مرات يوميا بصدق النية فقط، فهي تحدث في حياته انقلابا عظيما.
- (٢) الزكاة، فالذي يُخرج من ماله شيئا مرة واحدة في السنة امتثالاً لأمر الله يتولد فيه إحساس بأنه يستطيع أن يضحي بماله من أجل الله.
- (٣) الصيام، فيه يتعلم المرء كيف يؤثر رضوان الله بتحمل المشقة.
- (٤) الحج، فهو يولد في الإنسان إحساسا أنه إذا اقتضت منه مشيئة الله أن يفارق أعزاه وأقاربه وبلده وعقاره وممتلكاته للأبد فيكون جاهزا لذلك.
- وبالإضافة إلى ذلك قد بين الله علاجا آخر أيضا وهو أن القرآن الكريم يُخرج الناس من الظلمات، والملاحظ أن حدوث الغفلة والكسل يكون أكثر في الظلام، ولهذا السبب فلما يشعر الإنسان بالنعاس نهارا. وبقراءة القرآن الكريم يتنشط الإنسان وينتعش، إلا أن قراءته تتطلب تدبرا كبيرا، لكي لا يتعثر الإنسان في الترجمة، فراعوا الأمور التالية أثناء ترجمة القرآن الكريم، (١) لا تفسروا أي آية تفسيراً يخالف الآيات الأخرى، فالآيات المتشابهات يجب أن تفسر في ضوء المحكمات. (٢) لا تفسروا أي آية تفسيراً يعارض المعنى الذي بينه النبي ﷺ لها. (٣) يجب ألا تقدموا لأي آية معنى يخالف المعاني الواردة في القواميس العربية. (٤) كما يجب ألا تفسروا تفسيراً يناقض قواعد اللغة العربية. بعض الناس يقولون: أي حاجة لله في النحو والصرف؟ فليس عليه الالتزام بقواعد الناس؟ لكن هؤلاء لا يفهمون أنه صحيح أن الله ليس محتاجا إلى هذه القواعد، لكننا نحن البشر

نحتاج إليها؛ فإذا كنا لا نستطيع أن نفهم كلام الله، فما فائدته؟ فتفسير الآية: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ (الأنعام: ٩٢) أنه ينبغي أن تترك هؤلاء بعد أن يُقروا بوجود الله، فقد بيّن هذا التفسير لهذه الآية أميرٌ منكري الخِلافة المولوي محمد علي المحترم بسبب عدم تمكنه من علوم الصرف والنحو فقط، إذ ظن أن "الله" في هذه الآية ورد بفتح الهاء، مع أنه ورد بضم الهاء. (٥) يجب ألا يكون تفسيرنا مخالفا لتفسير المسيح الموعود عليه السلام الذي بعثه الله حكماً وعدلاً في هذا الزمن. (٦) لا تقدّموا تفسيراً لا تصدقه آية أخرى، أو كان معارضا للعقل أيضاً، أما إذا دل عليه نص صريح فلا تقحموا فيه العقل، غير أنه يجب أن يكون استدلالكم معقولاً. (٧) لا تقدّموا أي معنى يترتب عليه فرق بين قول الله وفعله.

كنت أحب أن ألقى حول هذا الموضوع خطاباً مفصلاً، أبين فيه كيف يمكن أن نفسر القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً، لكن الآن لا يسمح لي الوقت ولا حلقي أيضاً، لأنه يؤلمني، فسأتناول هذا الموضوع في المستقبل إذا وفقني الله له.

ثم قد أمر الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾. (الأحزاب: ٤٢-٤٤)

ولقد بيّن النبي ﷺ استحابة لهذا الأمر أذكّاراً منها: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ" و"اللَّهُمَّ أَسَلْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ

وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ... رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ".
 (البخاري كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن) فقد قال النبي ﷺ إنه يجب على كل مؤمن أن يقرأ هذا الدعاء قبل النوم، ثم لا يتكلم.

فعليكم أن تردّدوا هذا الدعاء حتما لإحراز التقدم، والآن أبين لكم معناه، يقول العبد: يا إلهي، أسلم لك كل ما لي، وأسلم لك حتى روحي. إني أنام الآن ولا أعرف هل سأستيقظ حياً أم لا، لذا أفوض إليك كل أموري، لأني أعلم أبي أجد إنعاماً منك فقط، وإذا عملت خلاف ذلك فسأعاقب. ولا يسعني الهروب من عقابك، فلا ملجأ ولا مأوى لي إلا أن أحرّ على أعتابك بعد تلقّي عقابك. فاشهد يا إلهي، أي مؤمن بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت.

باختصار؛ قد بيّن النبي ﷺ أذكارا كثيرة من هذا القبيل، لكن اهتمام جماعتنا بها قليل جدا، لكن كل ما تقدمون عليه يجب أن يكون بنية وإرادة وابتغاء مرضاة الله فقط، وأسأل الله أن يوفق جميع أفراد جماعتنا للتحلي بالصلاح والتقوى، وأن تتلاشى الغفلة من العالم، ويتمكن الناس من جديد من رؤية وجه ذلك الحبيب الذي إذا رآه أحد استحال أن يرغب عنه إلى غيره. آمين.

